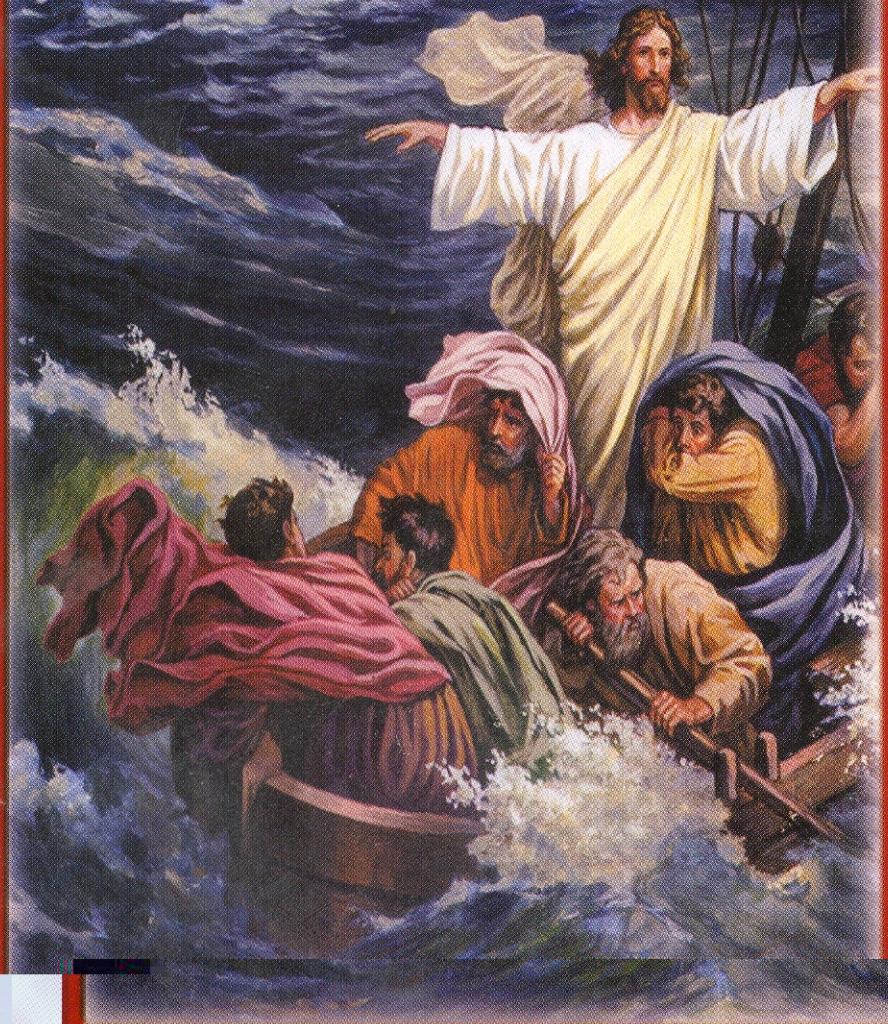


إِنْتَ طَرِبٌ قَلْمَرُكُمْ



إعداد

القمص باسيليوس السرياني

مراجعة وتقديم

نيافة العبر الجليل / الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

لَا تُنْطِرْبُ قُلُوبَكُمْ

(يو ١٤ : ١)

إعداد

مراجعة وتقديم

نيافة الحبر الجليل / الأنبا متاؤس القمص باسيليوس السريانى

أسقف ورئيس دير السريان العامر



ملكتنا كلنا والدة الآلهة القدسية الطاهرة العذراء مريم

٢٠٠٥ / ٢٠٠٥ - مطبعة دير الشهيد العظيم مار مينا العجائبي بمريوط

اسم الكتاب: لا تضطرب قلوبكم.

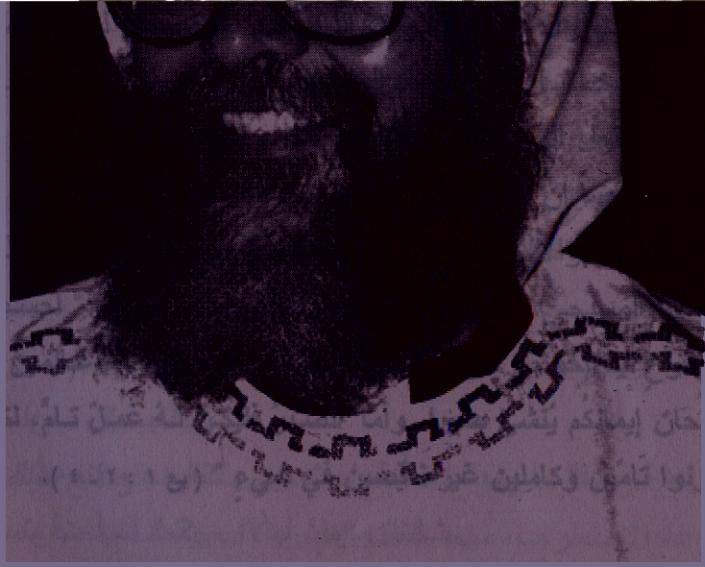
تأليف: القمص باسيليوس السرياني.

جمع تصويري: مطبعة دير الشهيد العظيم مار مينا العجائبي بمريوط.

المطبعة: مطبعة دير الشهيد العظيم مار مينا العجائبي بمريوط،

رقم الإيداع: ٢٠٠٥ / ٢٠٠٥ - مطبعة دير الشهيد العجائبي بمريوط

الترقيم الدولي: I.S.B.N. : 977 - 17 - 0739 - 6



نيافة الحبر الجليل الأنبا متأؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

الـتـقـدـيم

نجتاز في أيام غربتنا على الأرض الكثير من التجارب والضيقات، ولا غرابة في ذلك فنحن "عابرين في وادي البكاء" (مز ٢٣: ٤)، ونسير في وادي ظل الموت (مز ٨٤: ٦).

الضيقات والتجارب تروّضنا على عمل الفضائل والاتصال بالله والصلوة والصراخ إليه، كما يقول النبي: "يا رب في الضيق طلبوك، سكبوا مخافتك عند تأدبك إياهم" (إش ٢٦: ١١).
الضيقات والآلام هي أدوات الله التي يستخدمها لتنقيتنا من شوائب الخطايا والشروع والغرور، وهي هبة سماوية مثل الإيمان كقول الرسول: "وَهِيَ لَكُمْ لِأَجْلِنَا مُسَيْحًا لَا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقْطًا، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَّلَمَّوْا لِأَجْلِهِ" (في ١: ٢٩).
التجارب والآلام تعلم الصبر والاحتمال وتوصل الإنسان إلى الكمال المسيحي، حسب قول معلمنا يعقوب الرسول: "احسبيه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمائكم يُنشئ صبراً. وأمّا الصبر فليكن له عملٌ تامٌ، لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء" (يع ١: ٤-٢٠).

من أجل ذلك يجب أن نقابل الضيقات والتجارب باحتمال وشکر ولا نضطرب منها ولا نجبّن أو تصغر نفوسنا أمامها، ما دمنا مؤمنين أن حياتنا في يد الله وأن شعرة من رؤوسنا

مقدمة

يهاجمنا في بعض الأحيان الاضطراب نتيجة لبعض الأسباب مثل الأخبار التي نسمعها، والشدائـ التي تقع في بعض الأماكن، الخوف من الحياة وغلاء المعيشة أو موت أحد أفراد الأسرة. يأتي أيضاً الاضطراب من القلق الذي ينشأ في الأسرة، بسبب الخلافات الزوجية. وأيضاً من أخبار الحروب والأوبئة وسوء المعاملة من الغير، نتيجة لهذا كله أصبح الاضطراب يلازم الإنسان، ولخطورة هذا الاضطراب يقول السيد المسيح له المجد: " لا تضطرب قلوبكم " ولا تجزع (يو ١٤ : ١).

إن ضعف الانسان يـ من أحد مـ سـ اـتـ الـ اـضـ طـ اـبـ، رـ جـ لـ .
وـ جـ سـ دـ يـاـ. كـ ماـ أـنـ الضـ يـقـاتـ وـ التـ جـ اـرـ بـ هـ مـاـ مـنـ أـسـ بـ اـضـ طـ اـبـ.

الإيمان بالرب يسوع المسيح والتمسك به هو العلاج الوحيد لإزالة الاضطراب، مهما كانت الظروف صعبة أمامنا. لأنه هو الذي يهب لنا السلام، ويعطينا الاحتمال والصبر على كل ما يصادفنا من ضيقـاتـ وـ شـدائـ وـ غـيرـ ذلكـ.

لا تسقط بدون إذنه، و " أن كل الأشياء تعمل معـاـ لـ خـيرـ لـذـيـنـ يـجـبـونـ اللـهـ " (رو ٨ : ٢٨) .

والضيقـاتـ لها بـرـكةـ ومـجـدـ أـبـديـ، حـسـبـ قولـ بـولـسـ الرـسـولـ " لأن خـفـةـ ضـيـقـتـناـ الـوقـيـةـ تـنـشـئـ لـنـاـ أـكـثـرـ فـأـكـثـرـ ثـقـلـ مـجـدـ أـبـديـ " . (٢٤ : ٢)

حـولـ كـلـ هـذـهـ المـعـانـيـ السـامـيـةـ كـتـبـ الـقـمـصـ باـسـيلـيوـسـ السـريـانـيـ هـذـاـ الكـتـابـ بـعـنـوانـ " لا تـضـطـربـ قـلـوبـكـمـ " يـعـرـضـ فـيـهـ لـمـعـانـيـ الـاضـطـرـابـ وـأـنـوـاعـ الضـيـقـاتـ وـأـسـبـابـهاـ، وـالـبـابـ الضـيـقـ الذـيـ يـجـبـ أـنـ نـدـخـلـ مـنـهـ، وـالـتـجـارـبـ الذـيـ يـجـبـ أـنـ نـتـحـمـلـهـاـ، وـالـفـرـحـ الذـيـ يـجـبـ أـنـ نـتـسـرـبـ بـهـ فـيـ مـقـابـلـ هـذـاـ كـلـهـ، وـالـرـجـاءـ الذـيـ يـجـبـ أـنـ نـتـسـلـحـ بـهـ فـيـ هـذـاـ عـالـمـ الـعـاصـفـ الـمـضـطـرـبـ الذـيـ يـمـوجـ بـالـتـجـارـبـ وـالـضـيـقـاتـ.

لـقـدـ بـذـلـ الـكـاتـبـ جـهـداـ كـبـيرـاـ فـيـ هـذـاـ الغـمـ، سـطـرـهـ سـبـ وـنـطـلـبـ إـلـىـ اللـهـ أـنـ يـبـارـكـ هـذـاـ الـعـلـمـ لـمـجـدـ اـسـمـهـ الـقـدـوسـ وـلـرـاحـةـ النـفـوسـ الـمـتـعـبـةـ الـتـيـ تـرـزـحـ تـحـتـ ثـقـلـ هـذـاـ تـجـارـبـ وـالـضـيـقـاتـ.

الـلـهـ يـنـفـعـ بـهـ الـكـثـيرـينـ بـشـفـاعـةـ أـمـنـاـ العـذـراءـ الـقـدـيسـةـ مـرـيمـ وـصـلـوـاتـ أـبـيـنـاـ الـمـكـرمـ الـأـنـبـاـ شـنـودـهـ الـثـالـثـ. وـنـعـمـةـ الـرـبـ تـشـمـلـنـاـ جـمـيـعـاـ. آـمـيـنـ.

الأنبا متاوس

أسقف دير السريان العامر

عزيزي القارئ :

هذا الكتاب جاء في وقت كثُرت فيه الأضطرابات النفسية في حياة الإنسان. لذلك وجدت أن أقي بعض الشيء في هذا الموضوع خاصًة في هذه الأيام.

أطلب من الله أن يكون هذا الكتاب سبب بركة للجميع حتى يأتي بالفائدة الروحية.

بصلوات جميع الآباء القديسين وعلى رأسهم القديسة العذراء مريم أولاً وأخراً. وبصلوات:

دراسة البابا الأنبا شنوده الثالث

وشركيه في الخدمة الرسولية

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

ولربنا المجد والكرامة إلى الأبد. آمين.

القمح باسيليوس السرياني

لا تضطربوا

.....

لا تدع نفسك تضطرب. ليس من محنَة في الوجود خطيرة ومخيفة سوى محنَة واحدة وهي الخطية. وكل ما عدا الخطية إنما هو وَهْمٌ. إن المؤامرات، والأحقاد، والخيانات، والوشيات، والمسبات، والاتهامات، والمصادرات، والمنافي (المنفي) والمجازر، والحرائق، والغرق. كل هذه الأمور وقتيَّةٌ عابرَة لا تصل إلا إلى أجسادنا المائنة، وتترك النفس من الأذى سالمَة.

إن أفراح الحياة الحاضرة وأحزانها هي غير ذات أهمية. والقديس بولس الرسول يقول عن هذه وتلك: "الأمور التي ترى هي وقتيَّةٌ" (٢٤ : ٤). إذاً لماذا نخشى مما نراه إنها لحظة عابرَةٌ وتمر كمياه النهر؟ بل كزهر العشب أيضًا "كل مَجَد إِنْسَانٍ كَزَهْرٍ عَشَبٍ" (١٤ : ٢٤).

لا تخافوا من شكايات الناس، ولا تضطربوا لظلمهم لأن كل ذلك سببٌ كالثوب، وسيصبح كالصوف فريسة للعث (إش ٤٠ : ٧، ٨). لا تدع نفسك تضطرب من أجل الأحداث التي حدثَت. ول يكنَّ رب يسوع المسيح وحده الذي تبعده، ليكنَّ لنا ملجاً وسند. وهو وحده يستطيع أن يعيد الهدوء في أقل من طرفة عين.

إن الله ليس من عادته أن يأتي فوراً ليهدي الأمواج، بل يتركها ترتفع ويترك الاعصار يتعاظم، وعندما لا يبقى أمل عندئذ فجأة يسود الهدوء، ويعيد إلى الناس طمأنينتهم المفقودة.

في المحن والتجارب كانت الكنيسة تنمو وتتزايد، كانت منذ فجر ولادتها تتفجر ضياءً باهراً، ففي وسط هذه المحن وفي وسط الأفراح كان قطيع المسيح يتزايد، وهكذا أترى الذين كانوا مختبئون ينهضون ويطهرون، والذين كانوا تائهيون يعودون إلى الحظيرة، وما كان مهدماً إلى الأرض أعيد تعميره على أكمل وجه.

الإنسان وسط ظلمة الخطية لم يُحرَم من العناية الإلهية بل بالعكس يسمح الله له بالفقر المادي، أو المرض الجسدي أو الحرمان المعنوي أو الأدبي أو الاجتماعي، لترجع النفس إلى خالقها، تسأل وتطلب وتقرع وهنا تأخذ، تأخذ مشتهي الكل وتتال عمل الله فيها.

لتأمل الثلاثة فتية القدس حينما وضعوا في أتون النار، ولكن ظهرت يد الرب العجيبة، جعلت قدرته تظهر ببهاء، وكأن أتون النار يتحول إلى بيت صلاة وألسنة اللهب إلى قصر أفحى من قصر الملك، والنار التي تفترس كل شيء، النار التي تغلب الحديد ولا يثبت أمامها شيء لم تستطع أن تلامس شعرة من رؤوسهم، وهناك يقف الثلاثة فتية القدس ينشدو نشيدهم، داعين كل الخليقة إلى أن تصيف صوتها إلى أصواتهم، وفي تسبحهم كانوا يباركون الله الذي فك وثاقهم.

حين ولد السيد المسيح. أراد هيرودس قتله. فاضطر إلى تغيير بلده، فذهب إلى أرض مصر. جداول الدم المسفوكة في مقتل الأطفال البريء في تلك المجازرة الرهيبة. كل أولئك الأطفال الذين قتلوا بغير شفقة. كما لو كانوا في معركة، وفي ساحة الحرب. كانوا يتتزعون عن أذاء أمهاطهم ليسلموا إلى السيف. والسيوف كانت تغوص في حناجر طرية مليئة باللبن.

هل يمكن أن نتصور مأساة أفعى من هذه المأساة؟ هذا ما فعله الملك الذي كان يطلب أن يهلك المسيح، والله في صبره ترك مثل هذه المأساة المروعة تتم. وسمح بسفك تلك الدماء البريئة، وهو القادر على منعهم، وهذا إنما كان لسر في حكمته حتى أظهر مثل هذه الآلة.

الضيقات

الضيقات هي إحدى ملامح الطريق الأساسية للملكون. إذ يمتليء القلب من الداخل بال المسيح الساكن فيه، بينما يعثر من

والله في حكمته الفائقة يعطي التجربة ومعها المنفذ. يقول السيد المسيح: " طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم . وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجيلى، كاذبين ". (مت ٥ : ١١).

شكراً لله، لأنه مهما تراكمت علينا التجارب والضيقات والاضطرابات، فيسوع المسيح معنا ... إن كان الله معنا، فمن علينا. مقابل ما نتحمله من أجل يسوع المسيح. يقول السيد المسيح: " افرحوا وتهللو، لأنَّ أجرَكُمْ عظيمٌ في السَّمَاوَاتِ ". (مت ٥ : ٦)

إن المؤمنين الحقيقيين يشتهون الدخول في الضيقات والألام من أجل رب. الإهانة، التحقر، الطرد، الاحتمال يساوي فرح وتهليل في السماء. والآباء القديسين اختبروا الآلم والتحقر والإهانة.

يقول القديس أكليمندس:
" توقع يا ابني الشدة بعد الشدة من وقت لآخر، وهى نفسك لهذا ".

يقول مار إسحق السرياني:

الصبر، عدم الغضب، الصفح عنمن يضره أو يحزنه.
التعدي، من الآلام.

يقول القديس يحنس القصيري:
كن متأنلاً مع المتألمين. مصلياً من أجل المخطئين.

والضيق معناه ما يتضيق به القلب. ومن الواضح والمعروف أن الضيقات لا بد من حدوثها ولم تكن وليدة اليوم أو الأمس. بل هي منذ بدء الخليقة. أيوب يقول " الإنسان مولود للمشقة " (أي ٥ : ٧) وأفخر أيامه تعب وبلاية. والوعد صريح لنا في هذا العالم. يقول السيد المسيح: سيكون لكم ضيق. ومن أجل كثرة الأحزان والألام التي انصبت على البشرية جاء يسوع المسيح، " رجل أوجاع ومختبر الحزن " (إش ٥٣ : ٤ - ٥). " لأنه في ما هو قد تألم مجرياً يقدر أن يعين المجربيين " (عب ٢ : ١٨) . ويقول معلمنا بولس الرسول: " ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة " (٢ تي ٣ : ١) .

إن الضيقات والتجارب والألامات التي تمر علينا في هذه الأيام، ما هي إلا لفائدة الروحية. فكل ألم نهاية وغاية فالتجارب والضيقات تأتينا ملهمة، لا لإضعافنا بل لتطهيرنا وتنتقينا. والألام عموماً كالعواصف، لا لاقتلاعنا بل لتمكينا.

يرفعنا فوق الضيقـات فنجتازـها أو تعبـر عـنا، ونـحن في اعتـازـ نـرى سـر تـركـيتـاً أـكـثـر فأـكـثـر) . والقـديـس بـولـس اخـتـبرـ الضـيـقـاتـ والـتجـارـبـ إـلـى حـدـ كـبـيرـ الـأـمـرـ الـذـي جـعـلـهـ يـنـصـحـناـ بـقـوـلـهـ: "لـذـكـ أـسـرـ بـالـضـيـقـاتـ وـالـشـائـمـ وـالـضـرـورـاتـ وـالـاضـطـهـادـ وـالـضـيـقـاتـ لـأـجـلـ الـمـسـيـحـ. لـأـئـيـ حـينـماـ أـنـاـ ضـعـيفـ فـعـيـنـدـ أـنـاـ قـوـيـ" (كـوـ ٢ : ١٠ ، روـ ٥ : ٣) . أـيـ إـنـنـاـ نـفـخـرـ لـأـبـرـاجـ الـمـجـدـ، بلـ بالـضـيـقـاتـ أـيـضاـ .

نـنـالـ مـنـ هـذـهـ الضـيـقـاتـ قـوـةـ الـاحـتمـالـ وـتـثـيـتـ رـجـائـنـاـ فـيـ اللـهـ بـعـلـ الـرـوـحـ الـقـدـسـ. الـذـينـ اخـتـبـرـواـ الضـيـقـاتـ فـيـ حـيـاتـهـمـ يـقـولـونـ: أـنـ الضـيـقـاتـ تعـطـيـ الـإـنـسـانـ خـبـرـةـ فـيـ حـيـاتـهـ الـرـوـحـيـةـ. وـتـرـيـدـهـ تـعمـقاـ فـيـ حـيـاتـهـ الـرـوـحـيـةـ. فـيـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـتـقـبـلـ كـلـ مـاـ يـمـرـ بـنـاـ بـفـرـحـ مـنـ أـجـلـ الـرـبـ يـسـوعـ الـمـسـيـحـ.

طـرـيـقـ اللـهـ ضـيـقـ وـوـعـرـ لـكـنـهـ مـسـتـقـيمـ، إـنـ زـلتـ قـدـمـايـ فـبـسبـبـ ضـعـفـيـ وـخـطـيـئـيـ. إـذـ كـثـيـرـونـ يـتـعـثـرـونـ فـيـ وـصـيـةـ اللـهـ كـمـاـ يـتـعـثـرـونـ فـيـ التـجـارـبـ. لـهـذـاـ فـإـنـيـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ اللـهـ، لـيـسـ فـقـطـ لـأـدـخـلـ الـطـرـيـقـ، وـإـنـمـاـ لـكـيـ أـثـبـتـ فـيـهـ حـتـىـ النـهـاـيـةـ.
"(الـقـديـسـ أـغـسـطـسـيـنـدـوسـ)"

وقـالـ قـائـلـ: صـبـرـنـاـ عـلـىـ الضـيـقـاتـ وـالـشـدائـدـ تـدلـ عـلـىـ قـوـةـ رـجـائـنـاـ. إـذـ لـوـ لـمـ يـكـنـ رـجـائـنـاـ ثـابـتـاـ قـوـيـاـ، لـمـاـ صـبـرـنـاـ عـلـىـ الضـيـقـ. وـالـامـتحـانـ بـالـشـدائـدـ يـحـقـقـ الصـبـرـ. وـالـصـبـرـ يـحـقـقـ الرـجـاءـ. فـالـصـبـرـ عـلـىـ الضـيـقـ يـدـلـ عـلـىـ قـوـةـ الرـجـاءـ. وـالـرـجـاءـ هـوـ الإـيقـانـ بـالـحـصـولـ عـلـىـ مـاـ وـعـدـنـاـ بـهـ مـنـ مـلـكـوتـ.

يـقـولـ القـديـسـ يـوـحـنـاـ ذـهـبـيـ الفـمـ: إـنـهـ حـتـىـ فـيـ الضـيـقـاتـ الـحـاضـرـةـ تـعـطـيـنـاـ (نـعـمةـ اللـهـ) الـقـدرـةـ عـلـىـ تـلـلـؤـ مـلـمـحـنـاـ، وـتـجـعـلـنـاـ مـسـتـحـقـينـ لـمـكـافـأـتـاـ. لـذـكـ يـشـعـرـ القـدـيـسـونـ بـبـرـكـةـ الضـيـقـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ، إـذـ يـمـجـدـهـمـ (١ : ١٠) دـاخـلـيـاـ فـيـ عـيـنـ اللـهـ، لـكـيـ يـتـجـلـيـ هـذـاـ المـجـدـ بـالـأـكـثـرـ فـيـ حـيـاتـهـ الـعـنـيدـةـ.

لـذـكـ يـقـولـ القـديـسـ جـيـرـوـمـ: (لـاـ يـطـلـبـ القـدـيـسـ الرـاـحةـ بـلـ الضـيـقــ). إـنـاـ لـابـدـ أـنـ نـرـتفـعـ فـوـقـ الضـيـقـاتـ. إـذـاـ كـانـ إـيمـانـ بـالـمـسـيـحـ لـهـ الـمـجـدـ يـدـخـلـ بـنـاـ إـلـيـهـ لـنـحـمـلـ بـرـهـ فـيـنـاـ، إـذـاـ فـمـاـ هـوـ عـمـلـ هـذـاـ الـبـرـ فـيـ حـيـاتـنـاـ وـسـطـ الضـيـقـاتـ الـتـيـ لـاـ تـقـطـعـ؟ـ. القـدـيـسـ بـولـسـ الرـسـوـلـ يـجـبـ عـلـىـ هـذـاـ^(١) (مـعـلـنـاـ أـنـ السـيـدـ الـمـسـيـحـ لـهـ الـمـجـدـ بـرـهـ الـذـيـ يـهـبـ لـنـاـ لـاـ يـنـزـعـ عـنـاـ الضـيـقـاتـ، بـلـ

^(١) تـفـسـيرـ رسـالـةـ رـومـيـةـ - إـسـبـورـتـجـ.

تسبب ضيقاً للإنسان. وهناك أناس أقواء جسدياً يستعملون هذه القوة في الشر. ويقول عنهم أئوب الصديق: «عظامه ملائمة شبيهة، (خطايا) ومعه في التراب تضطجع» (أي ٢٠ : ١١). ويهدوا الإسخريوطى بعد ما سلم السيد المسيح لليهود ضاقت به الحياة وشنق نفسه.

فيما أخى تجنب الخطية لئلا تقع في ضيق شديد، يتعب حياته الروحية والجسدية.

هل يقول داود النبي: ليكن المؤمنون أبراراً أو ينصنون إلى كلماتي فلا يعنون من ضيقات. كلاماً! ليس هذا هو وعده. بل في الواقع يعني الناس الأشرار من ضيقات أقل. بينما يكابد الأبرار شدائداً أكثر، لكن الأولين (الاشرار) يبلغون ضيقاً أبدية بعد معاناتهم من ضيقات أقل، ولا نجاة منها. أما الأبرار فينعمون بالسلام الأبدى بعد كثرة الشدائى، ولا يفاسون من أي شر بعد.

"القديس أغسطينوس"

وتأتي أيضاً الضيقات من الاضطهادات. ولو تأملنا تاريخ الكنيسة نجد أن تاريخها مملوء بالاضطهاد، والاضطهاد موجود في كل مكان وزمان، كما يأتي الضيق أيضاً من المشاجرة مع الغير أو المشاجرة في الأسرة أو المشاجرة من أجل الحق. فالضيقات ما أكثرها.

أسباب الضيقات

حينما نسقط في الضيق يلزمنا أن نتذكر معاملات الله في الماضي، ومراحمه غير المنقطعة، فتحول قلوبنا إلى فرح وتسبيح. "القديس أغسطينوس"

الضيقات تأتي من أسباب كثيرة. نذكر منها:

ضيقات ناتجة من السقوط:

عندما سقط آدم وحواء وطربوا من الفردوس، وكان لكل منهم عقاب (تك ١٣ : ١٧ - ١٨). وما لا شك فيه أن هذا العقاب الذي وقع عليهما كان له أثر نفسي وجسدي على آدم وحواء. حيث طربوا من الراحة داخل الفردوس إلى أرض الشقاء والتعب خارج الفردوس. إذاً الألم والتعب والمشقة كلها دخلة على الإنسان بعد السقوط.

لأن الخطية هي السبب:

للقديس برسنوفيوس قول مشهور، يقول: كل ما أصابني، هذا بفعل خطاياي. صلّ على (صلي من أجلي). والخطية عموماً هي السبب في كل شيء. وهي تعasse للإنسان الذي يسلك في طريقها لأن عاقبتها مرة. وهي لابد أن

فوائد الضيقات

لا تتعجب يا أخي عندما تسمع أو تقرأ أن الضيقات لها فوائد!! نعم لها فوائد روحية. لو حولنا كل ما يمر علينا من ضيقات إلى حياة روحية، بلا شك أننا نستفيد منها. ويكفي أن نعرف أنها بسماح من الله. لأجل فائدتنا. ويقول معلمونا بولس الرسول: "كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله".

(رو ٨ : ٢٨)

ومن هذه الفوائد:

أولاً: لكي لا ينزع منا الروح القدس:
عندما سقط^(١) داود النبي وتاب صرخ قائلاً:
"ارحمني يا الله كعظيم رحمتك" (مز ٥٠). ولذلك وضعت الكنيسة هذا المزمور في مقدمة كل صلاة، لأنه يحتثنا على التوبة والندم على خطايانا.

^(١) إن أشهر زلات القديسين في الكتب يكون بسماح من الله لكي يصيروا لنا قدوة حسنة في التوبة. وأيضاً تكون حرصين دائماً ومتبعين، إذا رأينا أناساً أفالص مثل داود النبي وبطرس الرسول الذين من أصفياء الله وقد زلا وسقطاً بسبب استهتارهما وقلة حرصهما. (تفسير المزامير - إ سورتاج).

الضيقة غالباً ما تكون شديدة: قال السيد المسيح عن شدة الضيق وهو ينصحنا ليلاً ونهاراً يقول: "لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثلاً منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون" (مت ٢٤ : ٢٦).

وقد عبر أليوب الصديق عن شدة الضيق الذي لحق به فقال: "إنه الآن ضجرني. خربت كل جماعتي ... قام علي هزالي يجاوب في وجهي. غضبه افترسني واضطهدتني ... لطموني على فكري تغييراً. تعاونوا علي جميعاً. دفعني الله إلى الظلم، وفي أيدي الأشرار طرحتي. كنت مُستريحاً فزعزعني، وأمسك بققاي فحطمته ... أحمر وجهي من البكاء، وعلى هدبتي ظل الموت. مع الله لا ظلم في يدي، وصلاتي خالصة" (أي ١٦ : ١٧ - ٧).

هذه الكلمات التي تكلم بها أليوب، إنها كافية أن تعطي فكرة عن شدة الضيقة التي لحقت به، والتي تلحق بكل إنسان في الحياة.

كما عبر عنها يونان النبي وقال: "لأنه طرحتني في العمق في قلب البحار، فأحاط بي نهر، جازت فوقه جميع تياراته ولجأك" (يون ٢ : ٣). وهناك ضيقة عظيمة وشديدة تكلم عنها القديس يوحنا في سفر الرؤيا يقول: "هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة" (رؤ ٧ : ١٤).

الذي يحب الله، ويريد أن يسير معه، لا يهمه ضيقات ولا تجارب ولا أحزان ولا أي شيء. لا ننكر أن هناك نفوس ضعيفة في الإيمان. عندما تتعرض إلى ضيقة ما، مادية كانت أو جسدية. سرعان ما تلجأ إلى طرق مُوجّةً وملتوية، وفي النهاية الضياع.

٣- في الضيق نطلب مراحِم الله: الله كثير الرحمة والتحنن وطويل الأناء، والإنسان بطبيعة يميل إلى الشر. ولكن مراحِم الله واسعة والدليل على ذلك ما حدث مع أهل نينوى. "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئِة، ندم الله على الشر الذي تكلَّم أن يصنعُ بهم، فلم يصنعه" (يوحنان ٢ : ١٠).
ـ

ويقول داود النبي عن مراحِم الله وتحنه: "أَمَّا هو فرُوفٌ، يغفرُ الآثم ولا يهلك. وكثيراً ما رَدَّ غضبه، ولم يُشعل كل سخطه. ذكر أَنْهُمْ بَشَرٌ" (مز ٧٨ : ٣٨ ، ٣٩). وعندما سقط داود مع امرأة أوريا الحثي، قام وندم وعندما اعترف أمام يوナثان النبي، قال له: "الرب نقل عنك خطيبتك".

ويقول الوحي الإلهي في سفر العدد "الرب طوين الروح كثيراً للإحسان، يغفر الذنب والسيئة" (عد ١٤ : ١٨). وكان شعببني

وفي قصة الابن الصالِّ نعرف كيف رجع إلى أبيه بعدما ضاقت به الحياة المعيشية واشتهى أن يأكل من الخرنوب.

فالضيقات يا أخي الحبيب تأخذ طابعاً روحاً في الشخص. الذي يحول كل ضيقاته إلى خير. لأننا لم نعرف مقاصد الله في ذلك. هل من كثرة خطايانا، حل بنا هذا الضيق؟ أم لكي نرجع ونتوب عما نحن فيه؟ أم من أجل تركيتنا وصبرنا؟.
ذوي الخبرة الروحية يقولون: ما من إنسان وقع في ضيقه وصرخ إلى الله من كل قلبه، والله تخلَّ عنه. ما من إنسان طلب من الله وهو في ضيقه، إلا وأن الله استجاب له، لأن الله يعطي أكثر مما نطلب.

ما من إنسان كانت عنده مشكلة وصرخ إلى الله، والله لم يستجب له. المرأة التي كانت تطلب من السيد المسيح بلجاجة قال عنها: من أجل حاجتها يعطى لها. والسيد المسيح قال: "كل ما طلبتم من الآب باسمِي. يعطيكم" (يو ١٦ : ٢٣).

ربما قائل يقول: أن الضيقات التي أمر بها تعطلي عن الحياة مع الله.

نقول له: تأمل ما قاله القديس بولس الرسول: "مَنْ سِيفَصَلَنَا عن مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشَدَّهُ أَمْ ضيقُهُ أَمْ اضطهادُهُ أَمْ جوعُ ..."
(رو ٨ : ٨)
(٢٥)

والكتاب المقدس مملوء بالشخصيات التي تذلت أمام الله، وهو تحنن عليها، وأنقذها من يد العدو المحتل. الوقوع في يد الله خير من ال الوقوع في يد إنسان (ص ٢٤ : ١٤) وبعد التذلل يكون الفرج، وبعد الضيق يكون الفرج، ومن الضيق نتعلم.

٤- زوال الحياة:

إن زوال الحياة أمر محتم على كل إنسان، سواء كان صالحًا أو شريراً، كبيراً أو صغيراً، قوياً أو ضعيفاً، والسيد المسيح له المجد يعلمنا أن لا نهتم بأمور الحياة، ولا أمر الجسد من مأكل أو ملبس (لو ١٢ : ٢٢).

وداود النبي يقول عن زوال الحياة " عرَّفْنِي يَارَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ " (مز ٣٩ : ٤).

ويقول أنسيموس في شرح هذه الآية^(١): عرَّفْنِي يَارَبُّ نِهَايَتِي، كم هو زمان حياتي ليحصل لي من ذلك رجاءً جيد، وعرفني كيف تكون نهايتي بعد هذه الشدائدين. وكم من الزمان في مدة حياتي لكي أقابلها بدوام وجودك الأزلية. ولكي أعلم بأي مقدار أنا مُقصَّرٌ ومتأخَّرٌ عن أزليتك. وأنسيموس يقول: أما أبوانا كيرلس يقول: عرفني يارب من بعد حزني وتواضعني وسكوني

إسرائيل عندما يصرخون إلى الله، كان يسمع إلى صراخهم وأنينهم وكان يخلصهم من أيدي أعدائهم. ويقول داود النبي في صدد هذا " مَرَاتٍ كثِيرَةً أَنْقَذَهُمْ... فَنَظَرَ إِلَى ضَيْقِهِمْ إِذْ سَمِعَ صُرَاخَهُمْ " (مز ٦ : ٤٣ ، ٤٤).

ويعلق أنسيموس على هذه الآية يقول: ذكر ميثاقه يعني أنه خلصهم مراراً من شدائدهم لأنه قد عهد لإبراهيم أن من نسله يولد المسيح الذي به كان عتيداً أن تبارك به كافة الأمم.

تحنن الله على خليقه نراه واضحاً في قصة هابيل و Cain: عندما قتل Cain أخاه هابيل، غضب الله منه. وقال له: " ملعون أنت من الأرض التي فتحت لها لتقبل دم أخيك ". طلب Cain من الله قائلاً كل من وجدني يقتلني. فقال له الله: " ذلك كل من قتل Cain فسبعة أضعافٍ ينتقم منه " (تك ٤ : ١٥ - ١١). ومن أجل محبة الله ل Cain أعطاه عالمة لكي لا يقتله كل من وجده (تك ٤ : ١٥).

الله عندما ينظر إلى الإنسان، فيراه متذلاً باكياً على خططياته. وعلى ما أصابه من ضيقة، يتحنن عليه لكي لا يفرح به العدو (الشيطان) ولا يقع في اليأس " لا تشنمني بي يا عدوئي، إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي " (مي ٧ : ٧ - ٩).

^(١) تفسير المزامير لأنسيموس ص ١٥٩ .

فيجب علينا أن نستيقظ ولا نجعل أمور الحياة تتراءأ علينا فلأنه لا نستطيع القيام. فإذا أخطأ إنسان ويُوجَل التوبة (الاعتراف) تحت مسببات كثيرة. فبمقدار التأخير في التوبة يكون مقدار التراكم الكبير للخطايا، ومنها يأتي الضيق. مثل الإنسان الذي يجد حقه مملوء بالحشائش والأشواك، ويُوجَل تطهيفه، فلا يستطيع بعد ذلك أن يقدر ويقوم بتقتيه، ما لم يجتهد ويبذل كل جهده حتى يحصل على أرض نظيفة خالية من الأشواك والحشائش. هكذا النفس عندما تكون مملوءة بالشر.

من الأمور الأساسية في حياتنا الروحية هو الاستيقاظ. كما أن الاستيقاظ هو عامل أساسى في رجوعنا إلى الله.
 "منذ الليل روحي تُبَرِّأ إِلَيْكَ يَا إِلَهِي" (صلوة باكر).
 "اذْهَبُ وَأْرْجِعُ إِلَى مَكَانِي حَتَّى يُجَازِوا وَيُطْبَلُوا وَجْهِي. فِي ضِيقِهِمْ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ" (هو ٥ : ١٥).

٦- طلب الله بالصلوة:

يقول رب يسوع المسيح: "كل ما طلبتُم مِنَ الآبِ باسمِي يُعطِيكُمْ" (يو ١٦ : ٢٣).

قال أحد القديسين: إن الصلاة في حدة الأحزان وشدتها ومن عزم نشيط وقلب قوي يستجيبها الله.

ماذا يعوزني لتكمل الفضيلة الازمة من أجل محو الخطية؟ عندما تمر عليك ضيقية تعرف تماماً أن لكل شيء بداية ونهاية، فإن كان العالم سوف ينتهي كما تنتهي حياة الإنسان من على الأرض، فالضيقية لابد لها أن تكون لها نهاية، مهما كانت صعبة أو خفيفة. المشكلة ليست في الضيقية، ولكن المشكلة في حياة الإنسان نفسه، هل عنده حياة التسليم ويضع كل شيء في يد الله، وكيف يكون اتكله على ربنا؟ الضيقية عندما تكون في يد الله. الله يحلها بطريقته، وبهيئة بعض الأشخاص لحلها.

ونحن نعلم تماماً أن حياتنا زائلة من هذا العالم. لذلك علمتنا الكنيسة أن نطلب مراحِم الله باستمرار. ويقول الجامعه "الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" (جا ٢ : ١١). ويقول داود النبي "كم هي أيام عبدك؟ متى تُجري حكماً على مُضطهدي؟". (مز ١١٩ : ٨٤)

٥- الاستيقاظ:

الاستيقاظ مهم جداً في حياتنا الروحية. فالضيقية إذا جاءت إليك استيقظ وقم وصل إلى ربنا لكي ينجيك منها "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فِي ضيء لِكَ الْمَسِيحَ" (أف ١٤ : ٥). وعروض النشيد يقول: "أنا نائمة وقلبي مستيقظ" (نش ٥ : ٢). وداود النبي يقول: "من أجل اسمك يارب تُحييني. بعدها تخرج من الضيق نفسي" (مز ١٤٣ : ١١).

كانوا يصرخون إلى الله دائمًا، والله كان يندهم. يقول إرميا النبي: "وَعَادَ بْنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ بَعْدَ مَوْتِ (إِهُودَ)، فَبَاعُهُمُ الرَّبُّ بِيَدِ يَابِينَ مَلِكِ كُنْعَانَ ... فَصَرَخَ بْنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، لَاَنَّهُ كَانَ لَهُ تَسْعُ مِئَةً مَرَكَبَةً مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ ضَايِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِشَدَّةٍ، عَشْرِينَ سَنَةً" (قض ٤ : ٣ - ١).

يوجد بعض الأشخاص عندما يقعون في ضيق يكترون الصلوات والتضرعات، وعندما تنتهي الضيق يكفون عن الصلاة والطلب. ولا شك أنها طريقة خاطئة جداً. نحن نضع الصلاة أمامنا كفوة روحية لحياتنا. بل وهي السلاح القوي الذي نستطيع أن نغلب به. عندما نقف في الصلاة، نحن نقف أمام الله. إذا لابد أن نقف بخشوع ووفار. ونصلي من أعماق القلب. والسيد المسيح له المجد يقول: "اطلبوا أولاً ملکوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (مت ٧: ٧، لو ١١: ٩).

ويقول داود النبي: "أَدْخُلْ إِلَى مذْبُحَ اللهِ تجاه وجه اللهِ الَّذِي يُفْرِحُ شَبَابِي" (مز ٤٢: ٤).

وقال أحد الآباء^(١): الزم الصلاة في التجارب. فإن الرب قد قال: إنه ينتقم لعبد الله الصارخين إليه.

في الضيق والزوابع التي تحيط بنا، سواء على المستوى الفردي أو المستوى العامي. في وسط هذه الضيقات نصرخ ونصل إلى الله بعمق، عالمين أن الله يستجيب لنا. ويقول داود النبي: "يَسْتَجِيبُ لَكَ الرَّبُّ فِي يَوْمِ شِدَّتِكَ" (مز ١٩: ١).

فهل يا أخي صرخت إلى الله عندما حلَّتْ عليك ضيقتك؟ أم اتكلت على ذراع بشرية! الانكال على الله خير من الانكال على بنى البشر.

هل تذكرت الآباء الشهداء والقديسين، فعندما كانت تأتيهم الضيقات والآلامات، كانوا يصرخون إلى الله، والله كان يستجيب لهم.

هل وضعْتْ أمامك آيات من الكتاب المقدس في ضيقك لكي تتعرى بها وتكون سبب بركة. أم أنه تبحث عن الحل بأسلوب أهل العالم.

هل فرأت عن الشخصيات التي صرخت إلى الله، والرب استجاب لها. كمثلبني إسرائيل عندما كانت تأتيهم ضيقات،

^(١) بستان الرهبان.

الباب الضيق^(١)

مبدأ الباب الضيق.

(لو ١٣ : ٢٣ - ٢٧ ، مت ٧ : ١٣ - ١٤).

الديانة المسيحية حقيقة هي الباب الضيق. باب الألم. والتألم. ديانة الفرح الذي لا يعبر عنه ولا ينطق به، متأملين غاية إيمانكم خلاص أنفسكم. لو أن الديانة المسيحية كلها ضيق في ضيق لما صار العالم كله وراء المسيح، ولكن الباب الضيق باب السماء. الباب الصعب المؤدي إلى الملوك. الطريق الذي يوصلنا إلى المجد الأبدي هو غايتنا وهذا هدفنا، وهذه هي النعمة المخلصة الكبرى التي من أجلها جاء ابن الله وأكمل الفداء على الصليب.

ما المقصود بالباب الضيق؟

الضيقات التي تأتي من الخارج، التضييق الذي يُضيق به المؤمن على ذاته طريق العالم، طريق السماء. يقول القديس لوقا البشير: "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ... " (لو ١٣ : ٢٤ - ٢٧).

^(١) عن إحدى عظات الأنبا يوأنس أسقف الغربية المتوفى عام ١٩٨٧ م (أخذت بتصريح).

كما يقول متى البشير: "ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى ال�لاك ... " (مت ٧ : ١٣ - ١٤). إذاً مسيحيتنا هي الألم والتآلم.

الضيقات التي تأتي من الخارج:
السيد المسيح أوضح طريقان: طريق العالم، طريق السماء. يقول السيد المسيح: "أنا هو نور العالم" (يو ٨ : ١٢). الطريق ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاّ بي" (يو ٦ : ٦) كما يدعونا السيد المسيح أن نجتهد إلى الدخول من الباب الضيق، وهنا نسأل كيف نستطيع أن نوفق بين محبة المسيح وبين العالم واحتمال الضيق؟

الطريق الضيق هو طريق الصعوبات. والألم حمل الصليب. والعجيب ما أكثر ما قاله السيد المسيح عن الضيقات التي تحل بأولاده، ومع ذلك فقد صار العالم كله خلفه، حملان وسط ذئاب.

- ❖ "أتَيْ سَاعَةً فِيهَا يَظْنُ كُلُّ مَنْ يَقْتَلُكُمْ أَنَّهُ يُقْدِمُ خَدْمَةً لِلَّهِ". (يو ٢ : ١٦)
- ❖ "مُبَغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي" (مت ١٠ : ٢٢).
- ❖ "سَتَبْكُونَ وَتَنْوَحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ" (يو ١٦ : ٤٠).

الحب والألم لا يفارقان البعض. الحب يدفعنا إلى الألم والألم يدفعنا بمزيد من الحب.

إن الدخول من الباب الضيق هو الأسلوب الذي يناسب الإنسان الروحي. "ادعُني في يوم الضيق أُنقذك فتُمجّدني" (مز ٥٠ : ١٥).

الباب الضيق في الحياة الروحية. ضيق في الصوم. ضيق في الصلاة. ضيق في الاعتراف.

وأخيراً:

لعل الله أراد أن يشير إلى ما يحل بالبشرية من متاعب وضيقات لأسباب طبيعية أو بسبب انحرافها. وبين لنا أن الضيق الذي يحل بالمؤمنين سببه هو إيمانهم بالسيد المسيح.

وهناك ضرورة بالضيقات، وإلا لما سمح الله بها وهو لخير الإنسان. "فحتى أشعور رؤوسكم جميعها محصاة" (مت ٢٤ : ٣٠). على كفي نقشتكم من يمسكم يمس حدقه عينيه (زك ٨ : ٢). ويعلق القديس يوحنا ذهبي الفم على هذه الآية السابقة يقول: أن المسيح لم ينقشنا على كفه بمداد وحبر، ولكن بالمسامير التي حفرت يديه على الصليب. التمسك بالرب يسوع المسيح هو بداية الضيقات، لأن الباب الضيق هو وصيحة المسيح، الباب الضيق هو طريق المسيح نفسه طريق الصليب من بيت لحم حتى الجلجلة. يعني عدم الراحة. لم يجد أين يسند رأسه.

بطرس الرسول يقول: إذا شتم لم يكن يشتم أبداً. من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. إذا حمل الصليب هو ومنه الباب الضيق. السيد المسيح أحب الألم واحتهاه. المسيح له المجد يتألم من أجل البشرية، كذلك البشر يتألمون من أجله.

الطريق الذي سلكه جميع القديسين بلا استثناء. وهذا ما قاله الله لحنانيا عندما ظهر لبولس قائلاً: ساريه كم ينبغي أن يتألم من أجلي. هذا الألم الذي يوصل إلى المجد. الألم شركه مع المسيح في آلامه.

لذلك دُعى الشيطان عدو الجنس البشري الآن "المُجَرَّب" (مت ٤: ٣). ويقصد بها امتحان المرء وطاعته (بع ٢: ١ - ٢). وصبره واحتماله (خر ١٧: ١٠، ٢: ١٠، ٩: ١٠). مصدر التجربة هو إيليس كما جاء في حياة أليوب الصديق وكيف أن الشيطان احتال عليه بسماح من الله (أي ١: ١ إلخ).

السيد المسيح له المجد جُرِّب من إيليس في ثلاث مرات وكان السيد المسيح في جميعها ينتصر عليه.

القديس بولس الرسول يقول لأهل تسالونيكي وهو ي يريد أن يعرف إيمانهم عن التجارب التي تمر عليهم "لعل المُجَرَّب يكون قد جرِّبكم" (١ تس ٣: ٥).

الشيطان منذ بدء الخليقة لا يمل عن محاربة واسقاط أولاد الله في التجارب، في كل زمان وفي كل عصر، وكل أمة. لذلك يجب علينا أن نقاومه بكل قوة حتى ننتصر عليه بقوه ربنا يسوع المسيح.

هاجر المصرية عندما طُرِدَت وهي حُبلٍ وهامت على وجهها، افتقدها الرب وعزّاهَا بملك من السماء يقول لها: "الرب قد سمع لِمُذْنَبِكِ" (تك ١١: ١٦).

التجارب

"بل مُجَرَّبٌ في كل شيءٍ مِثْنَا بلا خطيةٍ" (عب ٤: ١٥). إن كلمة "تجربة"^(١) تعني امتحان حسب قول داود النبي في المزمور قائلاً: "جَرَبْنِي يَارَبُّ وَامْتَحَنِي" (مز ٢٦: ٢). كما طلب دانيال من رئيس السقاة قائلاً: "جَرَبْ عَبِيدَكَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ".

وكلمة (تجربة) في الأصل اليوناني. أقرب إلى الكلمة (اختبار) أو (فحص)، فالتجربة لا يقصد بها سقوطنا ولكن يقصد بها اختبارنا وتحميسنا لكي نخرج منها أكثر قوة وصلابة. والتجارب التي تأتي إلينا لم تكن جديدة في حياتنا. فإن آخرون قبلنا اجتازوها وتحملوها في صبرٍ وجَدِّ. كما تعني امتحان لمعرفة قوّة إيمان الشخص. وكلمة تجربة تقيد معاني مختلفة.

المعنى الغالب يقصد بالتجربة الاغراء على الخطية وارتكاب الإثم مثل آدم وحواء (تك ١: ٣).

^(١) وردت في صيغة الفعل في الكتاب المقدس أكثر من ٥٠ مرة وكلمة تجربة ١٦ مرة وكلمة تجرب ٧ مرات وكلمة مجرب مرتين وكلمة يجرب ٤ مرات.

ويعطي الله سلاماً ويترى عن النفس كل تذمر حيث يدرك المؤمن معاملات الله معه.

يطلب داود النبي من الأبرار لا يهتروا عند رؤية الأشرار، حتى لا يتمثلوا بهم. رؤيتنا للنجاح الذي يتحقق الأشرار بطرقهم المليئة ينبغي ألا تثيرنا إلى الطمع ولا إلى حسدهم. فإن هذا يجرنا إلى حالة تذمر، حتى على الله نفسه. وعلى العكس كما يزهر الأشرار سريعاً، نحزن عليهم لأن يوم هلاكهم قريباً والأحوال تتغير، وعدالة الله تفاجئهم، لأن حياتهم قد جفت. وصار بقائهم مفسداً للأرض. يقول يعقوب الرسول "لأنَّ الشَّمْسَ أَشَرَّقَتْ بِالْحَرَّ، فَيَبْيَسَتِ الْعُشْبَ، فَسَقَطَ زَهْرَةً وَفَتَّ جَمَالَ مَنْظَرِهِ".
هكذا يزبن الغبي أيضاً في طريقه" (يع ١ : ١١).

حقاً أية مسكنة أعظم وأقدس من أن يعرف الإنسان نفسه إنه بلا قوة ولا قدرة للدفاع عن نفسه. طالباً العون اليومي من إصلاح غيره. إذ يعلم أن كل لحظة من لحظات حياتهم إنما تقوم على العنایة الإلهية. "اللَّهُ أَعْلَمُ"

والسيد المسيح له المجد وهو في بستان جيسيماتي يقول:
"يا أبااه، إن شئت أن تجيزَ عَنِي هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وظهر له ملاكٌ من السماء يقويه".

(لو ٤٢ : ٤٣ ، ٤٢)

تجارب اليوم:

أما تجارب اليوم لا نقل شيئاً عن تجارب الماضي، بجميع صورها وقوتها وفظاعتها. وقلة الإيمان الذي يتسلل إلى قلوب الناس، جعل من البعض يرتدون عندما تحيط بهم التجارب، وهذا ما أوضحه السيد المسيح في مثل الزارع عندما تكلم عن البذور التي سقطت على الصخرة وهم الذين "يَقْبَلُونَ الكلمة بفرح ... إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون" (لو ٨ : ١٣).

يسأل البعض لماذا ينجح الأشرار. ويتألم الأبرار؟ داود النبي^(١) يجيب على هذا السؤال المُحير في أيامه، بل وفي كل العصور. هذا السؤال يُحير الكثيرون. لكن الإجابة تصير سهلة إن تخطى القلب العالم المنظور ليرى ببصيرته الداخلية أمجاد الأبدية المعدّة للمتأملين ظلماً. فلا يُفكّر البار في حسد الأشرار، ولا يتحطم بسبب ما يواجهه من آلام ومتاعب.

^(١) تفسير المزامير امسبورنج.

يشكى (يعني مريض) إلا أنه في سنة من سنّي حياته وُجِدَ غير مُشتكٍ (الله رفع عنه المرض) إذ لم يصبه خلاها مرضٌ، فمكث تلك السنة حزيناً جداً. وكان يبكي ويقول: لقد أسلمتني يا الله ولم تتعهدني بالطعام الذي كنت قد عودتني عليه من الأمراض التي كنت تجلبها عليّ. (إذ اعتبر المرض الذي كان يلحق به كل سنة بمثابة الطعام الذي يقتات به).

كان إنسان يسلك طريق الشر، وبعد ذلك أصيب بمرض خطير مما جعله يبتعد عن الشر، ثم اعترف وتاب. وهنا كان لمرضهفائدة روحية جعلته في نهاية حياته أن يكون مع الله حتى انقل من هذا العالم^(١).

كثيرة هي أمراضي يارب،

إنما لا مرض بدون شفاء لديك أيها الطبيب القدير ...

لأنك لا تسمع بالألم، إلا حين يكون الشفاء منه أكيد.

يا من وعدت بالشفاء ووضعت رجائي فيك.

"القديس أغسطينوس"

^(١) بستان الرهبان.

تجارب متنوعة:

هذا ما أوضحه القديس يعقوب عندما قال "احسبوه كل فرج يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة" (يع ١: ٢).

هناك تجربة المرض، تجربة الفقر أو الاحتياج المادي، تجارب في العمل، تجارب من الغير في كل موضع وكل مكان.

تجربة المرض:

في هذه الأيام كثير من الناس يعانون من بعض الأمراض المُرْمَنة والتي يطول علاجها أحياناً. وتجربة المرض لا شك أنها صعبة. هناك من يشكو من المرض. وأخر يكون المرض له سبب برَّكة لحياته.

القديس يوسف التباعي له كلمات مُعزية عن المرض إذ يقول: توجد ثلاثة أمور كريمة أمام الله:

أولهما: إنسان يؤدي عملاً صالحًا لوجه الله.

ثانيهما: إنسان في مرضه يكون شاكراً.

ثالثهما: إنسان مداوم على طاعة أب روحاني.

بهذه الأمور الكريمة يؤهل الإنسان لإكميل فاضل. وإنني أحس بمرض. كما يقال أيضاً عن شيخ: كان في كل زمانه إنه

يوصي السيد المسيح له المجد قائلاً: "اطلبوا أولاً ملكتَ الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم" (مت ٦ : ٢٣).

كما يحدثنا السيد المسيح أن نوجه أفكارنا إلى السماء، وعندما تكون أفكارنا نحو السماء كل ما نطلب من المسيح له المجد يعطى لنا "اسألوه تعطوا. اطلبوه تجدوا" (مت ٧ : ٧).

نهم بحياتنا الروحية حتى يكون لنا كنز في السماء. "لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك" (مت ٦ : ٢١).

أما الجانب الجسدي في حل مشكلة الاحتياج المادي هي: الله قدّيماً قال لآدم بعدما أخرجه من جنة عدن: يا آدم تأكل خبزك بعرق جبينك. يجب أن نتعلم القناعة، ونشكر الله على كل ما يعطيه لنا.

من يصير في شدة الاحتياج، في عوز من هذا النوع يتذكر قول داود النبي: المسكين والبائس يمجد اسم رب.

"اللاب إسحق"

تجارب من الغير:

هذه التجارب ما أكثرها وما أصعبها، فالكل يئن في العمل، في الشارع وفي كل مكان. هذه التجارب ما هي إلا أشواك في جسden حتى نلجا إلى الله باستمرار.

يقول القديس نيلس: إذا تذكريت أن إنساناً أساء إليك، تحتم عليك محبة الأعداء.

تجربة الاحتياج المادي:

كل إنسان في هذا الزمان يعاني من احتياجاته إلى المال. وأصبح المال الآن يشكل مشكلة اقتصادية في جميع المستويات بصفة عامة. وعلى مستوى الأسرة أو الفرد بصفة خاصة. هناك إنسان مريض في أسرة ولم تجد هذه الأسرة المال لعلاجه، إنها تجربة فاسية. كل أفراد الأسرة يبحثون عن المال بأي طريقة لتكميل العلاج المطلوب وللمعيشة أيضاً. كما توجد أسرة تحتاج المال لأجل قوتها وتربية أولادها. وهناك من يحتاج المال من أجل الحياة الزوجية، والسفر إلى الخارج وخاصة إذا وقع الإنسان في مشكلة أو كارثة، ولا يوجد المال لحلها. إن الجميع يئن ويتمخض معاً. إذا أصبحت الحياة بمشاكلها، هي في حد ذاتها تجربة. لذلك لا ن Yas. بل نلجا إلى الله في كل ما نطلب بإيمان قوي. بالإضافة أنا لا نرغب أن نقتني ما تراه أعيننا وتسمع به آذاننا من رفاهية الحياة.

العالم الآن يحارب أولاد الله بالمغريات والمقتنيات، ونتيجة لهذا تحدث المشاكل والمشاجرة في الأسرة. لذلك قلت أن (الاحتياج المادي هو تجربة).

يسأل البعض كيف نعيش في عالم كله مغريات، وما تنتظره العين تزيد أن نقتنيه؟ وآخر يقول. أنا لم أجد معني أي شيء من المال، وعندني احتياجات كثيرة، ماذا أفعل؟

يقول القديس أثanasيوس الرسولي: هؤلاء الأشرار أُسْتَنْتَهُم حسب شهادة المرتل - سيف ماضٍ وأسنانهم أسنة وسهام (مز ٥٧ : ٤). ولكن الأمر العجيب أنه بينما يهاجمون الآخرين لا يضرونهم، إنما يتمزقون هم أنفسهم بأسنتهم لأنهم يحملون في داخلهم الغضب والحقد والحسد والخداع والكراهية.

توجد خطأة قيمة وضعها الشرير ضد الأبرار. لقد طال زمنها. ويقول السيد المسيح له المجد "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضتني قبلكم" (يو ١٥ : ١٨). في الواقع أن طرف المعركة ليس هما الخطأة والأبرار. بل: عدو الخير (إيليس) والسيد المسيح.

بدأت المعركة منذ خلقة الإنسان وتبقى المعركة مستمرة في حياة كل مؤمن، حتى تُعلن نصرة السيد المسيح الكاملة فيه. أما أرض المعركة فهي عقل المؤمن، يترصد الشيطان للمؤمن الحقيقي لكي يوقع به في حبال الخطية، مستخدماً جميع الوسائل الممكنة. وإذا لا يفبح يصرّ عليه بأسنانه "كأسد زائر، يجول ملتمساً من يبتلعة" (أبط ٥ : ٨).

إذا يبقى الأشرار مقاومين لأولاد الله، في كل جيل وفي كل مكانٍ وموقع في العالم، حتى انتهاء الدهر. وتبقى كلمة الله مُختَلِفة لنا. وحافظة حياتنا من الفساد.

لا تكره الشدائـد، فباختـمالـها تـالـ الكرـامـة وبـها تـقـرـبـ إـلـىـ اللهـ. يقول مار إـسـحـاقـ: توـكـلـ عـلـىـ اللهـ وـسـلـمـ نـفـسـكـ لـهـ، وـادـخـلـ مـنـ الـبـابـ الضـيقـ وـسـرـ فـيـ الطـرـيقـ الـكـرـبـ، فإـنـ الـذـيـ كـانـ فـيـ كـلـ زـمانـ وـفـيـ كـلـ مـكـانـ مـعـ عـبـيـدـهـ فـيـ شـدـائـهـ وـنـجـاحـهـ وـأـظـهـرـ فـيـهـ قـوـتـهـ، هوـ يـكـونـ مـعـكـ وـيـحـفـظـكـ. والـسـيـدـ الـمـسـيـحـ يـعـلـمـنـاـ أـنـ نـقـابـ الـشـرـ بـالـخـيـرـ.

إن ما تتعرض له يا أخي من إساءات الغير فإن الله له عينان تخرقان أستار الظلم، وكل شيء مكشف وعريان أمامه، والله هو ضابط الكل. الله يحارب عنكم وأنتم تصمتون. ونحن أولاد الله لابد أن نتحمل ما يمر علينا. والسيد المسيح له المجد احتمل كل شيء، وصار هو مثنا الأعلى للاحتمال.

يتضرع داود النبي إلى الله كي يهلك المتملقين الذين يهددون الصالحين، يقول: "يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبه، بشفاعة ملقة، بقلبٍ فقلبي يتكلمون" (مز ١٢ : ٣ - ١). الله يُعينُ الذين تحت الضيق مستجبياً لنتهـاتـ المـساـكـينـ

إن كل المنافقون قد التقووا حولنا من كل جانب يسلطون أُسـنـتـهـمـ الشـرـيرـةـ ضـدـنـاـ بـخـدـاعـ مـعـ عـنـفـ دـاخـلـيـ. لكنـ كـلـمـةـ اللهـ تـقـدـمـ لـنـاـ دـعـوـةـ إـلـهـيـةـ تـحـوـلـ حـيـاتـنـاـ إـلـىـ تـسـبـحةـ مـفـرـحةـ، فـنـقـولـ مـعـ الـمـرـتـلـ "أـنـتـ يـارـبـ تـحـفـظـهـمـ. تـحـرـسـهـمـ مـنـ هـذـاـ الجـيـلـ إـلـىـ الدـهـرـ". (مز ١٢ : ٦)

التجارب في حياة الآباء القديسين

يخص الله القديسين بكثرة الأحزان لأنها نافعة جداً لخلاصهم ولمجدهم الأبدي. مؤكداً لهم خلاص أرواحهم. حقاً قد يخلصهم من متابعهم الجسدية أحياناً. كما فعل بالثلاثة فتية القديسين من أتون النار، وDaniyal من جب الأسود. لكنه سمح بترجم استفانوس، وأثناء رجمه كان الشهيد متلهلاً بالروح، إذ رأى السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين العظمة.

في العهد القديم لم تتوقف التجارب عند حد معين، أو لأشخاص معينين، فكل إنسان معرض للتجارب، على سبيل المثال:

إبراهيم أب الآباء:

أراد الله أن يُجرّبه ويعرف محبته فقال له: "خذ ابنك وحيدك، الذي تحبّه، إسحاق، ... وأصلّه هناك محرقة" (تك ٢٢: ٢). لا شك أنها كانت تجربة قاسية، وكان في أرض غريبة من عشيرته، وقد لاقى فيها تجارب كثيرة.

يوسف الصديق:

لقد تعرض لعدة تجارب وكان الله معه: تجربته مع إخوته، عندما باعوه للإسماعيليين. تجربته في بيت فوطيفار. ودخوله

السجن بسبب امرأة فوطيفار (تك ٣٩: ١٦). كل هذه التجارب ... ولكن الله حفظه منها.

شعببني إسرائيل:

من حين آخر كان الله يجرب شعببني إسرائيل، يقول الله: "امتحنهم، أيسّلوكون في ناموسي أم لا" (خر ١٦: ٤، تك ٢: ٨).

دانيال النبي:

التجارب التي مرت عليه أمام داريوس الملك والتي بسببها ألقى في جب الأسود (دا ٦).

داود النبي:

لو تأملنا في حياة داود النبي، نجد أن حياته مملوءة بالتجارب المريرة الصعبة، ويصعب على أي إنسان أن يتحمل واحدة منها:

سقوطه مع امرأة أوريا الحثي ... التجارب التي مرت عليه في مطلع حياته مع شاول الملك الذي كان يريد قتله، والأمور المؤسفة التي مرت عليه مع ابنه أبشالوم (١٥ ص ١). بالإضافة لهذا كله كان الأعداء يخططون لقتله بلا سبب، وكانوا يُعِرّونه حاسبين أنه في ضعف، ولن يفلت من أيديهم. لقد دخل المرئى داود النبي في متابع كثيرة من الأعداء، حتى

إلى ظل قيامة المسيح ابن داود الذي اجتاز الضيق والآلام.
 (قدمت الضيق فرصة ذهبية لينتعلم المرتل وأصدقاؤه الأنقياء
 الالتجاء إلى الله وحده. يلتسمونه بروح الانسحاق).
 "القديس أغسطينوس"

القديس بولس الرسول:
 يُقدم لنا معلمونا بولس الرسول تفصيلاً كاملاً عن التجارب
 التي مر بها والتي كانت أكثر التجارب حدة وقوّة، وقد أبرزها
 في رسالته الثانية لأهل كورنثوس (٢٢ - ٣٢ : ١١).
 لقد استفاد القديس بولس الرسول من التجارب التي مرت
 عليه، الأمر الذي جعله ينصح تلميذه تيموثاوس، إذ يقول له:
 "وَمَا أَنْتَ فَقْدَ تَبَعَّتَ تَعْلِيمِي، وَسَيِّرْتِي، وَقَصَّدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنْتَيِ،
 وَمَحْبَّتِي، وَصَبَرِي، وَاضْطَهَادِتِي، وَآلَامِي، مُثْلِ ما أَصَابَنِي فِي
 أَنْطاكيَّةِ وَإِيَّوْنِيَّةِ وَلِسْتَرَةِ. أَيَّةَ اضْطَهَادٍ احْتَمَلْتَ! وَمِنَ الْجَمِيعِ
 أَنْقَذْنِي الرَّبُّ" (٣٢ : ١٠ - ١١).

وهنا يوضح لنا القديس بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس
 أنه يتحمل كل ما يصيبه. على أن تيموثاوس يسلك ما قد سلكه
 بولس الرسول من احتمالات وألامات. أو بعبارة أخرى ما
 تسلمه تيموثاوس الأسف عن بولس الرسول إنما هو (الحياة مع
 المسيح) بكل وقائعها الظاهر والخفى.

تمررت كل حياته. لكن وجود الله والثقة فيه والتمسك بمواعيده
 حولت حياته من المرارة إلى العذوبة.

لقد صور لنا داود النبي الحزن الشديد الذي يلاحقه: "في
 يدك أستودع رُوحِي" (مز ٣١ : ٥). لقد لحقه الضرر ب بصيرته
 الروحية ونفسه وجسده أي كل كيانه فالحاجة ملحة إلى تدخل
 الله نفسه كمخلص له.

كادت حياته أن تقى بوجع القلب بالتهادات. عُرف داود
 النبي منذ صباه بالشخص الشجاع الذي لا يهاب الموت، ظهر
 ذلك في حادثة جليات الجبار، وقتل أسدًا ودبًا. ولم يفارقه
 مزماره، والبهجة لم تفارق قلبه. لكن في ضعف يشعر كان
 حياته كلها آلام قلبية.

لقد اهترت قوته وأصابه الانحلال. صار عاراً، وخزياناً في
 أعين جميع أعدائه. وفزع الأقوياء من رؤيته. اجتمع ضده عدد
 كبير من الأعداء، حتى الأصدقاء أدarrowوا له ظهورهم وتركوه
 وحيداً يجتاز المحن، وبالإيمان تأكد أن الله لن ينساه. فتمسك به
 أكثر فأكثر.

لقد صار داود يشكو إلى الله ملجأه. وعند هروبِه صعد على
 جبل الزيتون في حزن شديد وكان يبكي بكاءً شديداً، مغطياً
 رأسه حافي القدمين، لكنه كان يتشدد ويصلبي. ونعمَة ربنا لم
 تتركه. لم يكن للضيق أن يسحبه بعيداً عن الله. بل بالعكس قاده

طوبيت:

كان طوبيت رجل فاضل، رجل صلاة، وكانت ليوز أعماله هي إضافة الغرباء ودفن الموتى. لقد عاش في وسط جماعة أشرار، ورغم ما أحاطه من التعب والآلام والصيف لم ييأس ولم يتراجع عن عبادة الله بالحق. لقد سار في طريق الآلام الممنوع تضحيات. حتى لو أدى به إلى الموت. ورغم أن طوبيت عاش في حياته بارأ، إلا أن الله سمح له بالمضي إلى النبي مع الأشرار، لأن من يحبه الرب يودبه^١. قال الملائكة لطوبيت: «إذا كنت مقبولاً أمام الله كان لابد أن تتحسن بتجربة» (طوبيا ١٢: ١٢). حتى أقاربها كانوا لم يكروا عن السخرية به فانتبث: «أين رجاوك الذي لأجهه كنت تبدل الصدقات وتدفن الموتى» (طوبيا ١٣: ٧).

حقاً لقد سمع اللهبيان يسلم أحبابه للتجارب التي رأوا شعوراً أن يصلوا منها إلى الموت. لكنه في وسط هذه كلها حفظ حياته إلى النهاية من الهلاك. ويقول داود النبي: «املاً وجوههم خزي، فيطلبوا، اسمك يا رب» (مز ٨٢: ١٦).

القديس يوحنا ذهبى الفم: «لقد سمع اللهبيان يسلم أحبابه للتجارب التي رأوا شعوراً أن مات والده أشلاء ولا زمام، واعتنى بأمه التي استمرت أرملة حتى نجاها. نعم يوحنا ذهبى الفم في

العلم، والوضع، والفلسفه، وتفاسير الكتاب المقدس. حتى نفع في كل العلوم. إلى أن ارتفى كرسي القسطنطينيه. بذا الشيطان يشن عليه حروب من كل نوع.

تجارب مع الملكة أفوكيبيا، وكانت هذه الملكة تعترض ذهبى الفم على ما كان يفعله من تغييرات. وسبب هذا دخل معها في قرائع مرض.

فقد ازدادت التجارب على ذهبى الفم. عندما أرأته الملكة أحد كرم أحدى الأرامل وتضمه إلى المملكة. فلما علم ذهبى الفم أحد يحثها في خطأه على الرجوع عن هذا العمل الشرير. وشهدها بليزائل التي ترعرعت كرم نابوت اليزراعي قديماً. كان هذا بداية النزاع بينه وبين الملكة.

ظهر على الساحة شخص يدعى (نيوفيل) كان مواليًا لملك فاخذ يدير مؤامرات ونجح في أن جمع مجمعاً لهم هذا المجمع القديس يوحنا ذهبى الفم بالشكالات الباطلة حتى أمروا بتفقهه. كما أمر الملك بتفقهه للمرة الثانية عندما اعتراض ذهبى الفم المثال الذي أقامه للملكة أفوكيبيا ووضعه أمام الكادرائيه. مما كان يغسل الخدمة بسبب الأصوات المزعجة المخلة بالحياة الروحية.

والدارس لحياة القديس أثناسيوس الرسولي. يجد أنه قضى أغلب حياته في المنفى، بسبب حفاظه على الإيمان ضد البدع والهرطقات وخاصة هرطقة أريوس.

(إن فصاحة أثناسيوس في المجمع النيقاوي قد جرئت عليه كل البلايا التي صادفها في حياته .)

" سقلات المزخ "

(كما بلغ سيف المضطهدين أجساد الشهداء فأحرقها لكن بقيت قلوبهم سليمة بلا ضرر .)

" القديس أغسطينوس "

هذه هي التجارب التي مرت على رجال الله القديسين، وهذه النماذج ما هي إلا قليل من كثير في تاريخ كنيستنا الحافل بالشهداء، هذا التاريخ الملوء تجارب متنوعة: اضطرابات كثيرة سواء كان على مستوى الفرد، أو على مستوى الكنيسة وما مرت به من تجارب واضطرابات في الماضي والحاضر.

لقد لاقى ذهبي الفم أشد المضايقات من الجنود، وهو في طريقه إلى المنفى، إذ كان الجنود يسيرون به في الطرقات الوعرة والأماكن الجرداء. في هذه المسيرة الشاقة التي كانت بلا رحمة من قلوب قاسية. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يسير حافي القدمين مكسوف الرأس في حرارة الصيف والشمس محرقة، وظل في المنفى حتى نياحته.

القديس أثناسيوس الرسولي:

بعد انتصار القديس أثناسيوس الرسولي في مجمع نيقية وجلوشه على كرسي مار مرس. أراد الأريوسيين التخلص منه بأي شكل لذلك حاربوه بعدة أشياء:

- ♦ وشوا به لدى الإمبراطور. والله خلصه من هذه الوشاية.
- ♦ أدعوا عليه أنه قام بكسر كأس القدس إسكيراس الهرطوفي وهدم مذبحه. وحرق كتبه. والقديس برأ نفسه بشهود بعض الآباء الكهنة.
- ♦ اتهموه إنه ارتكب الفحشاء مع بتول، ولكن الله أظهر حقيقة هذه الخدعة. التي دبرها أريوس واتباعه.
- ♦ وشوا به بأنه ساعد أحد أعداء المملكة يدعى (فيلومينوس) الذي كان عازماً أن يملك على مصر. إلا أن القديس أثناسيوس قام بتبرئة نفسه أمام الإمبراطور.

الفرح

يُفْرِحُ لِأَنَّ الْفَرَحَ مِنْ ثَمَارِ الرُّوحِ الْقَدِيسِ (غُلَامٌ ٥: ٢٢). وَهُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ (جَا ٢: ٢٦، مَزَ ٤: ٧).

يقول داود النبي: "بِاسْمِكَ يَتَهَجَّونَ" (أي يُفْرِحُونَ) الْيَوْمَ كُلُّهُ، وَبِعَدَكَ يَرْتَفَعُونَ" (مز ٨٩: ١٦). "لِيُفْرِحَ إِسْرَائِيلَ بِخَالِقِهِ". (مز ١٤٩: ٢)

لا شك أن حضور الله هو مصدر التعزيزية لشعبه. إذاً الفرح في الله أقوى من الحياة الحاضرة، من يجده ليس فقط لا يدقق في فحص الآلام بل ولا حتى يفكّر في حياته، ولا يرتكب شيء.

كما يقول القديس مار إسحق: (الفرح النابع من الله والتمتع بخلاص النفس من الأعداء الحقيقيين "أرواح الشر والخطايا" هو عطيّة توهّب) يعني الفرح خلال الاتضاع.
"لَأَنَّهُ يُؤْتِي إِلَيْنَا الصَّالِحَاتِ قَدَامَةً حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً وَفَرَحاً".
(جا ٢٦: ٢)

ويقول بولس الرسول: "افرحوا في الرب كل حين".

(في ٤: ٤)

ومن الملاحظ أن القديس بولس الرسول كرر في رسالته إلى أهل فيليبي كلمة (الفرح) تسعة عشر مرة، وإذا تصفحنا هذه الرسالة التي كتبها بولس الرسول وهو مقيد بالسلسل، يتكتشف

في الضيقات صبر ورجاء وفي التجارب فرح!!
القديس يعقوب الرسول يقول: "احسِبُوهُ كُلُّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي
حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُّتَوْعِّدَةٍ" (يع ١: ٢).

ويقول القديس بولس الرسول "كَمَا تَكْثُرُ آلَامُ الْمَسِيحِ فِينَا، كَذَلِكَ بِالْمَسِيحِ تَكْثُرُ تَعْزِيَّتَا" (كو ١: ٥).
كما يوجه أنظارنا القديس بولس الرسول: إنه يسمى بنفسنا حاسباً هذه الآلام خاصة به، فأي فرح يشملنا إذ يقول: أن نكون شركاء المسيح من أجله نتألم.

ونلاحظ أن الفرح إذ لم يكن متأصلاً في تربة الألم. فهو فرح سطحي لا قيمة له. لأن من السهل أن تكون فرحة عندما تكون الظروف على ما يرام، لكن الفرح مع الألم (تجربة أو ضيق) هنا يكون فرح حقيقي من القلب "مُتَقْوِيٌّ مِّنَ الْقَلْبِ" بكل قوّة بحسب قدرة مجده، لكل صَبْرٍ وطُولٍ أَنَّهُ بِفَرَحٍ" (كو ١: ١١).

إن الفرح الذي أشار إليه القديس يعقوب في بداية رسالته هو الفرح الذي في شخص ربنا يسوع المسيح. لأن الذي يتقبل التجربة بإيمان عميق في شخص يسوع المسيح، لابد أن

في التجربة فرح:

علامات تعجب تحيط بالإنسان العادي الذي لا يسلك مع الله، يقول: كيف يكون فرح في التجربة التي أمر بها؟ كيف أفرح فيما أنا فيه من مضائقات في العمل، في الشارع، وغير ذلك من احتياجات وهموم؟!

علامات تعجب بالإنسان الذي يحيط به الأعداء من كل جانب ومرذول من الآخرين: كيف أفرح وأنا في أحزان باستمرار؟ أين هو الفرح؟

أسئلة كثيرة تدور مع كل إنسان تمر عليه تجربة أو ضيقه وألم. ولا يصدق الإنسان العادي البعيد عن الله أن مع التجربة يوجد فرح.

إن أقوال الآباء وتاريخهم تعطينا معرفة روحية: أن التجربة معها فرح. يكتب القديس البابا أثناسيوس الرسولي إلى شعبه الذي تحمل التجارب على يد الأريوسيين قائلاً: (لنفرح عالمين أن خلاصنا يحدث في وقت الألم. لأن مخلصنا لم يخلصنا بغير ألم بل تألم لأجلنا). "وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالثقة في المسيح يسوع يُضطهدون" (ت2: ١٢) ويقول القديس بولس الرسول "كحزائني ونحن دائماً فرحون" (٢٠: ٦).

لنا أن لديه سعادة غير عادية. ونلاحظ في هذه الرسالة، أن كلمات التعضيد والتشجيع والرجاء والأمل تقipس في كل كلمة ومن كل حرف (في ٢: ١٠، ٤: ٤، ٣: ٤، ٤: ٧).

كان بولس الرسول يؤمن بحب الله وحكمته، وكان يعلم أن الله سمح بدخوله السجن من أجل انتشار الكرازة. لقد كرز بولس الرسول في سجن روما أكثر مما كرز في رحلاته التبشيرية وهو طليق، لقد تحولت جدران السجن التي قصد بها الشيطان أن يعطّل الكرازة إلى هدم كل حاجز وقف في طريق البشرة (في ١: ١٢). وهذه الرسالة ربما تكون أكثر الرسائل التي كتبها بولس الرسول ذاكراً فيها كلمة (الفرح).

بالرغم من الأحزان والمشقات التي تصادفنا يجب أن يكون قلبنا مملوءاً بالفرح السماوي. وقد قال رب يسوع المسيح "ولا يَنْزَعُ أَحَدٌ فَرَحْكُمْ مِنْكُمْ" (يو ١٦: ٢٢)، "ولكن حزنكم يتحول إلى فرح" (يو ١٦: ٢٠).

وحينما تحل بنا تجربة أو اثنين بل تجارب متعددة يلقي بنا أن نفرح. بل نفرح كل الفرح.

الرَّمَادُ، وَدُهْنٌ فَرَحٌ عَوْضًا عَنِ النَّوْحِ " (اش ٦١ : ٣). وَدَاودُ النَّبِيُّ يَقُولُ " الَّذِينَ يَزَرُّعُونَ بِالْدُّمُوعِ يَحْصِدُونَ بِالْإِتْهَاجِ " (مز ١٢٦ : ٥). وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ التَّجْرِيَةَ مَعَهَا فَرَحٌ، وَإِذْ كَنَا لَا نَشْعُرُ بِهِ إِلَّا وَنَحْنُ فِي هَذَا الْعَالَمِ. لَكُنَّ فَرَحُهُ بِهِ حَقِيقَةٌ مُؤْكَدَةٌ عِنْدَمَا نَنْتَقْلُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. هُنَاكَ الْفَرَحُ السَّمَاوِيُّ حِيثُ مَصَافُ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالقَدِيسِينَ، هَذَا هُوَ الْفَرَحُ الَّذِي وُهِبَ لَنَا بَعْدَ الْآلَمِ.

إِذَا يَجِدُ عَلَيْنَا أَنَّ فَرَحَ الْأَحْزَانِ وَالتجَارِبِ، لَأَنَّ مَعْلَمَنَا بُولِسُ الرَّسُولُ يَقُولُ " كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ " . (رو ٨ : ٢٨)

كَمَا يَجِدُ عَلَيْنَا أَنَّ نَمْتَلِئَ بِرُوحِ الطَّاعَةِ وَالخُضُوعِ لِإِرَادَةِ اللَّهِ فِيمَا يَصِيبُنَا مِنْ تجَارِبٍ أَوْ ضَيَقاتٍ بَدْوَنِ قِيدٍ أَوْ شَرْطٍ.

وَكَمْ نَدْهَشُ عِنْدَمَا نَقْرَأُ تَارِيَخَ الشَّهَادَةِ وَرِجَالَ اللَّهِ الْأَتْقَيَاءِ الَّذِينَ قَابَلُوا الْمَوْتَ، وَالْعَذَابَ، وَالآلَامَ الْمُبَرَّحةَ بِقُلُوبٍ مُفْرَحةً، كُلَّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ خُضُوعِهِمْ لِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَمُحِبَّتِهِمْ فِي الْمَلَكِ الْمُسِيحِ. إِذَا كُنْتَ مَرْذُولاً!! تَمْسِكُ بِرِبِّنَا يَسُوعَ الْمُسِيحِ.

لِيَكُنْ عِنْدَكَ إِيمَانٌ فَوْيٌ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُعِينَكَ.

لِيَكُنْ آلَامُ السَّيِّدِ الْمُسِيحِ أَمَامَكَ باسْتِمْرَارٍ.

لِيَكُنْ الصَّلَاةُ هِيَ الشَّاغِلُ فِي حَيَاتِكَ.

قِرَاءَةُ الْكِتَابِ الْمُقْدَسِ أَهْمَّ عَامِلٌ يَعْزِيزُكَ.

وَكَتَبَ الْعَالَمَةُ تِرْتِيلِيانُ إِلَى الْمُتَأْمِلِينَ الْمُسْجُونِينَ بِسَبَبِ الإِيمَانِ، يَقُولُ: (أَيُّهَا الطَّوْبَاوِيُّونَ احْسَبُوكُمْ كُلَّ مَا يَصِيبُكُمْ تَدَارِيبٌ لِلتَّقْوَى حَتَّى تَنْالُوا إِكْلِيلًا أَبْدِيًّا مَلَكِيًّا فَتَصِيرُوكُمْ سَكَانُ مَمْجَدِينَ إِلَى الأَبَدِ).

أَلَمْ يَوْجُدْ فَرَحٌ وَتَهْلِيلٌ رُوْحَانِيٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟ لَا شَكَ أَنَّ كُلَّ تَجْرِيَةٍ تَمُرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ وَيَتَقْبَلُهَا بِإِيمَانٍ قَوِيٍّ لَابْدَ أَنْ يَعْقِبَهَا فَرَحٌ. وَالقَدِيسُ بَطْرُسُ الرَّسُولُ يَعْطِي تَعْزِيَةً رُوْحِيَّةً وَفَرَحًا لِلنَّفْسِ عَلَى الْبَلَالِيَّةِ وَالْمَحْنِ الَّتِي تَصادِفُنَا فِي حَيَاتِنَا يَقُولُ: " أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، لَا تَسْتَغْرِبُوْ الْبَلَوَى الْمُحَرَّقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةً، لِأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَائِنَةً أَصْبَكُمْ أَمْرًا غَرِيبًا " (١١ بَطْرُس٤ : ١٢).

وَهُنَا يَؤْكِدُ بَطْرُسُ الرَّسُولُ عَنْ عَمَقِ الْفَرَحِ الَّذِي يَأْتِي مَعَ التَّجْرِيَةِ يَقُولُ " بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلَامِ الْمُسِيحِ، افْرَحُوا لِكِي تَفَرَّحُوا فِي اسْتِعْلَانِ مَجْدِهِ أَيْضًا " (١١ بَطْرُس٤ : ١٣). وَهُنَا يَضْعُ بَطْرُسُ الرَّسُولُ شَرْطًا لِلْفَرَحِ وَهُوَ أَنْ تَشْتَرِكُ فِي آلَامِ الْرَّبِّ يَسُوعِ الْمُسِيحِ. كَمَا تَأْلِمُ الْمُسِيحُ لِهِ الْمَجْدُ. كَذَلِكَ لَابْدَ أَنْ نَتَأْلِمَ مَثَلَهُ حَتَّى نَفْرَحَ فِي إِعْلَانِ مَجْدِهِ.

القارئ المحب:

إِنَّا لَا نَنْكِرُ بِلٍ وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْزُنُ وَيَتَضَايِقُ وَيَكْتُبُ فِي وَقْتِ التَّجْرِيَةِ أَوْ فِي أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْآلَمِ. لَكِنَّ إِشْعَيَا النَّبِيُّ يَقُولُ فِي صَدَدِ هَذَا " لَا يُعْطِيهِمْ جَمَالًا عَوْضًا عَنْ

" وَقَبْلَتُمْ سَلَبَ أَمْوَالَكُمْ بِفَرَحٍ، عَالَمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَا لَا أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبِاقِيًّا " (عِبْرَانِي ١٠ : ٣٤).

ويقول القديس بطرس الرسول "لكي تكون تركيه إيمائكم، وهي أثمن من الذهب الفاتي ... " (ابط ١ : ٧). إذاً يفرح الإنسان عندما يخرج من التجربة منتصراً.

التوبة:

ويوجد أيضاً فرح من أجل التوبة. يفرح الإنسان عندما يتوب ويعيش مع الله. يقول معلمنا بولس الرسول "الآن أنا أفرح، لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة" (يو ٢ : ٩). "هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة" (لو ١٥ : ٧).

عندما تحيى من أجل النمو في حياتك الروحية، وتعيش مع رب يسوع المسيح بالقلب النقي. والمحبة الكاملة، يقول لك "أدخل إلى فرح سيديك" (مت ٢٥ : ٢١).

لا تحزن على ما أصابك من أحزان أو فقدان أشياء مادية أو غير ذلك.

يقول السيد المسيح " طوباكُم إذا أبغضُكُم الناسُ، وإذا أفرزوكم وغيركم، وأخرجوا اسمكم كشريِّرٍ من أجل ابن الإسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا، فهوذا أجركم عظيم في السماء ". (لو ٦ : ٢٢، ٢٣)

كما يقول السيد المسيح أيضاً: " الحق الحق أقول لكم: إنكم ستكونون وتتوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحوّل إلى فرح" (يو ١٦ : ٢٠).

إن كلمات ربنا يسوع المسيح كافية أن تعزينا. إن هناك وعد بالبكاء، التعير، والبغضة، وأيضاً وعد أن هذه كلها تتحول إلى فرح. ويكتفي أن اسماعنا قد كتبت في السماء، إذ يقول إشعيا النبي: " ومَدْيِّو الرب يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صَهِيونَ بِتَرَّتِمْ، وَفَرَحٌ أَبْدِيٌّ عَلَى رُؤُسِهِمْ. ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكُهُمْ. وَيَهْرَبُ الْخَنْ وَالْتَّهَدُ " (إش ٢٥ : ١٠). هذا الفرح من أجل الاتهانات والتحقير والطرد إلى ذلك.

وهناك أيضاً فرح من أجل:

سلب الأموال:

سلب الأموال أو أخذها بطريق غير شرعى كنوع من أنواع التجارب التي تمر على البعض. يقول القديس بولس الرسول:

كلمات تعزية

كلمات تعزية لأجل القديسين:

كتب العالمة أوريجانوس إلى القديسين أمبروسيوس وبركتيوس وهما تحت المحاكمة في ظل الاضطهاد الذي أثاره مكسيمانوس يقول لهما: "في أثناء محاكمتكم القائمة الآن بالفعل أن تذكرا دائمًا تلك المجازاة العظمى التي يعدها الآب السماوي من أجل المظلومين والمذدرى بهم بسبب البر، ومن أجل ابن الإنسان. افرحا وابتهجا كما فرح الرسل وابتهجوا "لأنهم حسبيوا مستأهلين أن يهاتوا من أجل اسمه" (أع ٥ : ٤١). وإذا شعرتما بالحزن فاستغثوا بروح المسيح الذي فينا، لكي يرد روح الحزن، وينزع القلق من داخلكم. لماذا أنتِ حزينة يا نفسي ولماذا تزعجي؟ فلا تجزع أرواحنا. بل حتى أمام كرسي القضاة وفي مواجهة السيف التي صوبت لكى تقطع رقابنا تظل أرواحنا محفوظة في سلام الله الذي يفوق كل عقل، نستطيع أن نشعر بالطمأنينة والهدوء عندما نذكر أن الذين يفارقون الجسد يعيشون مع إله الكل (٢٥ : ٨).

كتب القديس يوحنا ذهبي الفم عن حرارة الآلام والاضطهادات التي عاش فيها من قبل الملكة أندوكسيا التي يعاونها رجال الدين أنفسهم. كتب وهو في حزن شديد لذلك تجد

كلماته مُعبرة عن نفس حزينة، لكنه كان يتعزى بنعمة ربنا يسوع المسيح. لقد صوّر كل الآلام التي تمر عليه إنها بركة في حياته. وقد سبقه الآباء القديسون في احتمالها. كتب في سجنه إلى الأسقف قرياقوس يقول:

"عندما استبعدت عن المدينة لم أفلق، بل قلت لنفسي إن كانت الإمبراطورة ترغب أن تغيني، فلنفعل ذلك. فإن للرب الأرض ولؤها. وإن كانت تود أن تنشرني، فإني أرى إشعاع النبي مثلاً. وإن أرادت إغرافي في المحيط، أفكر في يونان النبي. وإن أقيمت في النار، أجد الثلاثة فتية قد تحملوا ذلك الأتون. وإن وضعت أمام وحوش ضارية، أذكر دانيال النبي في جب الأسود. وإن أرادت رجمي، فإن اسكنافوس أول الشهداء أمامي. وإن طلبوا رأسي فلنفعل، فإن يوحنا المعمدان يشرق أمامي. عريان خرجت من بطن أمي، وعريان أترك العالم".

لا شك أن هذا الكلام هو كلام مُعزّي للنفس التي تعيش التجربة، ويعطينا هذا الكلام فرح وبهجة وهو أن نضع حياة الشهداء أمامنا في كل شيء. هذا هو الفرح الذي من القلب وهو في عمق التجربة. يقول أحد القديسين: إن الفرح في الألم هو مقاييس قصد حب النفس في المسيح. الإنسان الكامل يرحب بفرح الألم. والإنسان الفاتر يهرب منه.

إذا كان أليوب (الكلام لذهبي الفم) قال في زمان حياته: "أليس جهاد للإنسان على الأرض" (أي ٧ : ١). كم بالأكثر يعاني من هم في هذه الأيام.

ويقول أيضاً الحياة الحاضرة إنما تمثل صراع وحرب وضيق وكرب وتجارب. وهي مسرح للصراعات الروحية. الآن ليس وقت الراحة، بل هو وقت تعب وجهاد.

عزيزي القارئ

إذا عانيت من بعض التجارب والضيقات تذكر السيد المسيح له المجد الذي أهينَ وضرُبَ وشُتمَ من أجلنا. تذكر السيدة العذراء مريم وكم عانت من التجارب التي حلّت عليها وعاشت في مرارة قلب. عانت من الفقر والتعب أيامًا وعاشت في يُتمَ وتغربت في مصر هرباً من هيرودس، واجتاز في قلبها سيفَ. تذكر أيضاً الآباء القديسين وكم عانوا من احتمال المشقات في السفر من أجل الخدمة. كذلك الآباء الشهداء وكيف كانوا يُضرَبون. تذكر الآباء البطاركة كم عانوا من التعب والاضطهادات طوال حياتهم. في التجربة يا أخي تأخذ بركة وقوة. وعن التجربة قال القديس الأنبا بولا أول السواح قوله المشهور: "الذي يهرب من التجربة، يهرب من الله". فإذا مررت عليك تجربة، اعلم أن الله في التجربة، والله سمح بذلك لأجل الخير.

القديس بولس يقول: "أفرح في آلامي لأجلكم، وأكمل نفائص شدائ드 المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة". (٢٤: ١)

يقول قراسة البابا شنودة الثالث: "يعطي الله التجربة ومعها الحل، والتجربة موجودة، وقوة الله موجودة... والإنسان لا يقف في التجربة وحده. فهناك قوة كبيرة محاطة به: الملائكة، وأرواح القديسين، وروح الله القدس نفسه... والتجربة لا تقهـر الإنسان. فكثير من القديسين اختبروا عمق النعمة، وهم في ساحات الاستشهاد أو في السجون. وفي شتى العذابات".

كلمة الأخيرة

"جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتفوّق في المسيح يسوع يُضطهدون" (٢٣: ١٢).

يقول ذهبي الفم: "لا يمكن لإنسان يسلك حياة الفضيلة إلا ويعرض لحزن أو تعب أو تجربة. إذاً كيف يهرب منها من يسلك الطريق الكرب والضيق، ومن يسمع إنه "في العالم سيكون لكم ضيق"؟" (يو ٣: ١٦)

الصبر

"بصبرِكُمْ افتنوا أنفسَكُمْ" (لو ٢١ : ١٩)

الصبر لا يعني أن يكون الإنسان مكتوف الدين. ولكن الصبر معناه الحقيقي هو الروح التي لا تستطيع أي ظروف في الحياة أن تهزّها. ولا يقدر أي حادث أن يتغلب عليها. بل هو القدرة على المواجهة المنتصرة لكل ما تستطيع الحياة أن تفعله معنا.

والصبر يقترن بثلاثة فضائل:

١- التقوى: "وفي المعرفة تعففاً، وفي التعفف صبراً، وفي الصبر تقوى" (٢٤ : ٦).

٢ - الرجاء: "ولكن أن كُنَا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّا نَتَوَقَّعُهُ بالصبر" (رو ٨ : ٢٥).

٣ - الإيمان: "إذ أَنْذَرْتَ الْإِيمَانَ الْعَدِيمَ الرِّيَاءَ الَّذِي فِيهِ" . (٢٧ : ٥)

وطول الأنأة مرتبط بالصبر مع الناس. صفة العقل والقلب التي تجعل الإنسان أن يتحمل الناس، بحيث لا تستطيع كراهيتهم وشروعهم وقوتهم أن تحوله إلى مرارة وحقد. كما أن طول الأنأة هي الروح التي لا تفقد أبداً الصبر مع الناس والإيمان بمعونة الله، والرجاء به. والصبر أيضاً هو

لا تنظر إلى التجربة بمنظرأسود، لو فعلت هذا تأكّد بأنك غير متتكل على الله.

حقيقة الأمر أن التجربة والضيق والآلام تسبّب اضطراباً نفسياً، ولها واقع نفسي صعب ومُرّ على النفس. لكن شعر بتعزية روحية حينما تقدم كل شيء في إرادة الله وتتكل عليه.

إن الأحداث التي تحيط بنا في هذه الأيام تجعل النفس مُرّة وفاترة وضعيفة الإيمان. يقول سليمان الحكيم: كثرة الهموم تحني ظهر الرجل (أم ١٢ : ٢٥)، فكم من هموم مرت على بعض الناس جعلت قلوبهم منكسر بسبب ما ضاع منهم أو لموت أحد أحبابهم.

ولكن شكرًا لله الذي يُبَدِّد هذه الأحزان. ويُفَرِّح قلوب أولاده.

إذ يقول الله:

لا تتركك. ولا أهملك ...

"هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطئها، حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (إش ٤٩ : ١٥).

احتمال الضيق، وإنما يراه مكافأة. كيف يكون هذا؟ لأن الصبر هو سمة تمس حياة السيد المسيح، الذي قيل عنه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي. إذ يقول القديس بولس الرسول "والرب يهدي فُلُوبِكُمْ إِلَى مُحَبَّةِ اللَّهِ، وَإِلَى صَبَرِ الْمُسِيَّحِ" (ت٢ : ٣٥).

يتضح لنا من هذا: أن الصبر هو عطية إلهية والشركة في صبر المسيح تعطي عزوبة للنفس وسط الآلام. هذا ما أكدته القديس يوحنا الحبيب بقوله: "شَرِيكُمْ فِي الضَّيْقَةِ وَفِي مَلْكُوتِ يَسُوعَ الْمُسِيَّحِ وَصَبَرُهُ" (رؤ١ : ٩).

إن كل ما يمر علينا من ضيقات وتجارب يحتاج منا إلى الصبر بإيمان قوي ورجاء ثابت، حتى تنتهي الزوابع وتكون كل شيء. وما لا شك فيه أن الصبر يعطي للإنسان تجلد في الحياة وخبرة يستفيد منها الآخرين. وقد أصبح الصبر من الكلمات التي يواسى بها الإنسان أخيه الإنسان في محنته وضيقته. لذلك يضعون صبر أيوب مثلاً واقع أمامهم.

يعلق القديس غريغوريوس الكبير على قول السيد المسيح: "بصَبَرِكُمْ افْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ" (لو٢١ : ١٩)، فيقول: هكذا وضع في النفس اقتداء فضيلة الصبر. لأن الصبر هو أصل كل الفضائل. الصبر هو احتمال الشرور التي تسقط علينا من الآخرين بهدوء دون أن نحمل مشاعر سخط ضد من يُخطئ إلينا.

الذي لا تستطيع مواقف الحياة أن تهزه. إن صبر الإنسان المسيحي وطول أناه مع الناس لا ينبغي أن يفنيهما شيءٌ مهما بلغ من الشدة.

يقول يعقوب الرسول "عَالَمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانَكُمْ يَتَشَائِرُ صَبَرًا. وَأَمَّا الصَّبَرُ فَلَيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لَكِي تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ" (يع١ : ٤ - ٣).

السيد المسيح له المجد مثناً الأعلى لما احتمله من اهانات وتحقير، والصلب، ويقول عنه إشعيا النبي: "أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلُ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهَ" (إش٥٣ : ٧). "وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤْسَاءُ الْكَهْنَةِ وَالشَّيوُخُ يَسْتَكْوِنُ عَلَيْهِ لَمْ يُجِيبْ بِشَيْءٍ" (مت٢٧ : ١٢). والضيق والتجارب والمحن تتشيّر صبراً "والصَّبَرُ تَرْكِيَّةٌ، وَالْتَّرْكِيَّةُ رَجَاءٌ، وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي، لِأَنَّ مُحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ اسْكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقَدْسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو٥ : ٤ - ٥).

ففي هذه الأيام توجد تجارب، لكن يوجد رجاء في المسيح يسوع. إذ نتمجد (نفتخر) بالضيقات. لأن الضيقات تعطينا مسحة الصبر، عالمين أن الضيق ينشيء ثمرة عظيماً جداً وهو الصبر.

والقديس يوحنا ذهبي الفم له نظرة عجيبة لتعبير (الصبر) فإنه لا يتطلع إليه ك مجرد جهاد بشري أو قدرة إنسانية على

إذ يقول القديس مكاريوس: اصبروا في البلايا لتناولوا إكليل المجاهدين.

يقول الجامعة: " طُول الرُّوح خَيْرٌ مِنْ تَكْبُرُ الرُّوح " (جا ٧: ٨). دخلت الشياطين إلى القديس أرسانيوس في قلابته، وكانوا يريدون قطع يده، فلم ينزعج القديس بل مد يده وقال اعملوا ما شئتم لأجل محبة المسيح. فلما رأى الشياطين هذا الهدوء، وهذا الصبر صاحوا: أحرقتنا أيها الشيخ بكثرة هدوئك واتضاعك^(١).

يسمح الله:

يسمح الله للمؤمنين بالضيق، لكنه كأب يعلن اهتمامه بهم. وكما يقول القديس أغسطينوس: (تأكدوا يا إخوة أنه ليس للأعداء سلطان على المؤمنين، إلا بالقصد الذي يفدهم، بتجربتهم وامتحانهم).

إذ يقول أيضاً: عندما حث الرب يسوع المسيح شهاده على الصبر ووعدهم أن ينال الجسد نفسه كمالاً تماماً في المستقبل بلا فقدان. لا أقول فقدان عضو منه، وإنما أقول فقدان شعرة واحدة^(٢).

وهذا ما يوضح لنا اهتمام السيد المسيح له المجد بأولاده، إذ يقول شعرة واحدة لا تسقط منكم إلا بإذني.

^(١) تفسير إنجيل لوقا إيسورتاج.

^(٢) بستان الرهبان.

صابرین في الضيق (رو ١٢: ١٢).

الصبر لا يحمل المعنى السلبي، بل المعنى الإيجابي. صبر مملوء حباً حيث يلقى الإنسان آلامه على الرب المتالم بفرح في حب ورضي.

يقول القديس مكاريوس:

اصبروا للتجارب التي تأتي عليكم من العدو واثبتوها في قوله ومقاومته. فإن الله يعطيكم وبهديكم إكليل النصرة، إذ يقول السيد المسيح له المجد: "أنتم الذين ثبتوها معني في تجاري، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا" (لو ٢٢: ٢٨، ٢٩). كما قال أيضاً "الذي يصبر إلى المثلثة فهذا يخلص" (مت ١٣: ٢٤).

يقول القديس بولس الرسول وهو يوصي تلميذه تيموثاوس: "اتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة" (١ تي ٦: ١١). والصبر ممدوح. كما جاء في سفر الرؤيا في الكلام إلى كنيسة أفسس يقول "أنا عارف أعمالك وتبek وصبرك". (رؤ ٢: ٢).

وبنوا إسرائيل عندما أزلهم المصريون يقول عنهم الكتاب "بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا" (خر ١: ١٢). فلا نيأس مما يصادفنا من متاعب واضطهادات ولا نحزن حتى لو نظرنا إلى تقطيع أجسادنا.

من أقوال الآباء:

نود أن نذكر بعض أقوال الآباء القديسين عن الصبر. ونطلب من الله أن تكون سبب بركة لنا جميعاً.

قيل عن القديس بيساريون: أنه يصبر على الضيق مسروراً.

قال شيخ: احفظ وصايا الله بطول روح، بمخافة الله، بالصبر على الأحزان.

قال القديس برصوفيوس: اذكر الحمل الوديع وكم صبر رغم أنه لم تكن له خطية.

قال راهب: الذي يريد الخلاص فليحتمل الظلم ويصبر على الإهانة والخسارة الجسدية.

قال أحد الإخوة لشيخ: قل لي يا أبي أمراً واحداً لأحفظه وأخلص به.

فقال له الشيف: إن شئتَ فلو أمكنك أن تحتمل فذاك أشرف ما يكون.

كما قال أيضاً: كل ما استطاع أن يصبر على شتيمة أو حزناً جسدياً فإنه يخلاص.

قال القديس باسيليوس الكبير: علامة من غالب الشيطان أن يحتمل شر أخيه.

قال مار إسحق: لا تكره الشدائـد، فباختـمالها تـالـ الكرـامـة وبـها تـقـرـبـ إلى اللهـ.

الضيق ينشئ صبراً والصبر ينشئ كذلك

رجاءً فيكون للدليل رجاءً (ایوب: ٥)

كل إنسان تمر عليه ضيقـة أو تجـربـة، يـجبـ أنـ يكونـ لهـ رـجـاءـ فيـ اللهـ. وـإـيمـانـاـ عمـيقـاـ بـأنـ اللهـ قادرـ أنـ يـعـيـنـهـ فـيـماـ أـصـابـهـ منـ آـلـامـ نـفـسـيـةـ أوـ جـسـدـيـةـ.

في سقوط البشرية كان هناك رجاء، يقول القديس بولس الرسول "سيكونُ أصلُ يسئِي والقائمُ ليسودُ على الأُمُمِ عليه سيكونُ رجاءُ الأُمُمِ" (رو: ١٥: ١٢)، كما يؤكـدـ القديـسـ متـىـ البـشـيرـ "وـعـلـىـ اـسـمـهـ يـكـونـ رـجـاءـ الأـمـمـ" (مت: ١٢: ٢١).

ويـعلـقـ القـدـيـسـ يـوـحـنـاـ ذـهـبـيـ الفـمـ عـلـىـ قـوـلـ القـدـيـسـ بـولـسـ الرـسـولـ (رو: ١٥: ١٢) إـذـ يـقـولـ: فـتـحـ أـبـوـابـ الرـجـاءـ لـلـيـهـودـ كـمـ لـلـأـمـ، لـهـذاـ يـقـولـ الرـسـولـ بـولـسـ أـشـبـهـ بـصـلـاـةـ أـوـ شـفـاعـةـ لـدـىـ اللهـ. لـيـزـيدـهـمـ فـيـ هـذـاـ الرـجـاءـ بـدـخـولـهـ إـلـىـ الإـيمـانـ بـقـوـةـ الرـوـحـ الـقـدـسـ. مـمـلـوـعـينـ سـرـورـاـ وـسـلـامـاـ" وـلـيـمـلـأـكـمـ إـلـهـ الرـجـاءـ كـلـ سـرـورـ وـسـلـامـ فـيـ الإـيمـانـ، لـتـزـدـادـواـ فـيـ الرـجـاءـ بـقـوـةـ الرـوـحـ الـقـدـسـ" (رو: ١٥: ١٣).

الروح القدس عندما يملأ قلوبنا يجعلنا نعبد ربنا فوق حدود الزمن، ونمتلك رجاء بالأمور المنظورة ففرح قلوبنا ويتسع قلبنا لاحتمال الضيق. ملتجئين إلى الله بالصلة الدائمة

يقول أبوب الصديق حتى الأشجار لها رجاء " لأنَّ الشجرة
رجاءً، إنْ قُطِعَتْ تُخْلِفُ أَيْضًا وَلَا تُعْدَمُ خَرَاعِيهَا، وَلَوْ قَدِمَ فِي
الأَرْضِ أَصْلُهَا وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِذْعُهَا فَمِنْ رائحةِ الماءِ تُفَرِّخُ
وَتُنْبِتُ فُرُوعًا " (أي ١٤ : ٩٧).

إذاً ماذا يعني بالرجاء؟

يقول ذهبي الفم: هذا يعني أن لا نطلب كل شيء لنا في هذه
الحياة، وأن يكون لنا رجاء ... مؤمنين إن ما وعدنا به الله
يتحقق لنا. أتسأل ألم تكن أنت خاضعاً لخطايا بلا حصر ويائساً؟
ألم تكن تحت الحكم؟ من الذي خلصك؟ إذاً الرجاء في الله
وحده. والإيمان من جهة مواعيده وعطياته.

يقول القديس أغسطينوس: إن كانت باكوره الروح تدفعنا
للتمسك بالرجاء لنواه كمال المجد الذي يهبها الروح للبناء. فإن
هذا الرجاء ليس بالعمل السلبي، وبمعنى آخر يلزم المؤمن أن
يمارس دوراً إيجابياً باحتفال الأتعاب الكثيرة والآلام من أجل
رجائه. إذ يقول الرسول بولس (فتنوقه بالصبر). لا يتحطم
رجاؤنا باليأس. بل بالعكس يلتهب رجاؤنا في المجد من خلال
صبرنا في الضيقات.

كان عمل السيد المسيح لا يمس بالمجد فحسب وإنما يمس
حياتنا اليومية. لا بتغيير الظروف المحيطة بنا لتنعم بسلام

إذ يقول بولس الرسول: " فرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي
الضَّيْقِ " (رو ١٢ : ١٢).

يعلق القديس يوحنا ذهبي الفم أيضاً: ليس شيء يجعل النفس
شجاعة هكذا ومحبة للمخاطر مثل الرجاء.

يقول القديس بولس الرسول: " وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي، لَأَنَّ مُحَبَّةَ
الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعْطَى لنا " (رو ٥ : ٥).
إذاً سر القوة في الضيق، والرجاء الذي في قلوبنا هو عطية
الروح القدس.

الرجاء فضيلة:

الرجاء أحد الفضائل الثلاث: الإيمان - الرجاء - المحبة
(١ كو ٣ : ١٣). وإذا تأملنا في رسائل القديس بولس الرسول نجد
أن الرجاء مقترن بالضيق والصبر والتجارب. ونجد أنه أيضاً
يتكلم عن الصبر والرجاء معاً، ورجلتنا بال المسيح يسوع.
(١ كو ١٥ : ١٩)

" وكل من عنده هذا الرجاء به، يُطْهَرُ نفسه كما هو ظاهر " (١ يو ٣ : ٢). إن فضيلة الرجاء ضمن الفضائل التي يتحلى بها
الإنسان، لذلك يجب أن يكون الرجاء دائماً في قلوبنا، ولا ندع
اليأس يعكر حياتنا اليومية.

معيناً، إذ يهبنا ذاته ويقف بجوارها. وفي داخلها كمعين لها. يسمح لها بالتجارب، ويعينها في وسط أحزانها حتى تبقى نامية.

أيها الأعزاء المحبوبين، من بين كل الأحزان التي تلحق بالنفس البشرية، ليس حزن أخطر من الشعور بالخطية.
القديس أغسطينوس

يعاني الأبرار الذين يعرفون اسم الرب يسوع المسيح من متاعب كثيرة ومن خلالها يكتشفون أن الله ملجاً لهم. والله قابل الودعاء، والمدافع عنهم (مز ١٤٧ : ٦). إنه أبو الأيتام وقاضي الأرامل (مز ٦٨ : ٥). وحافظ الصغار (مز ١١٦ : ٦). الله هو ملجاً عالي لحماية قدسيه. إذ يقول داود النبي: "ويكون الرب ملجاً للمسحوق. ملجاً في أزمنة الضيق". (مز ٩ : ٩).
" وكان أيوب الصديق. ملجاً للبائس والمسكين والفقير ".
(أي ٢٩ : ١٢، ١٥، ١٦)

يقول السيد المسيح له المجد: اطلبني في وقت الضيق أفقذك فتمجدني. كما يدعو الرب يسوع المسيح حاملي الأنقال لكي يريهم. وما أكثر الذين يئنون من الحياة في هذه الأيام. الأمر الذي لابد أن نلجم فيه إلى الله. والملجاً هو حصن حصين لكل

زمني. وإنما بتغيير القلب الداخلي والفكر. فنسمو فوق الآلام إذ نراها طريقة الشركة مع المسيح المتألم (رو ٥ : ٥). "بالصبر والتَّعْزِيَةِ بما في الكُتُبِ يكونُ لنا رجاءً" (رو ١٥ : ٤).
إذاً غاية الكتاب المقدس أن يحتضن على الاحتمال بصبر ليهبني تعزية وسط الآلام. الأمر الذي يفتح لنا باب الرجاء.

إلهنا ملجأنا:

"الله لنا ملجاً وقوّة، عوناً في الضيقات وجِد شديداً. لذلك لا نخسّ ولو تزحرّت الأرض، ولو انقلبَ الجبالُ إلى قلبِ البحار " (مز ٤٦ : ٢ - ٤). عندما تشتد الأحزان سواء بسبب الأعداء الظاهرين أو بسبب الأعداء الخفيين مثل الخطايا، نجد أن الله ملجاً وقوّة ومعيناً لنا، إذاً كنا ننعم بالحياة الروحية معه.

يقول القديس باسيليوس الكبير: أن كثيرين ينطقون بهذا الكلام بأفواهم (يعني كلام المزمور) لا بقلوبهم والدليل على ذلك أنهم إذ يسقطون في ضيقه يسرعون إلى وساطات بشرية لا إلى الله. إذاً ماذا تجد الكنيسة في ملكها المحارب عنها؟.

ملجاً: إنها مستهدفة لهجوم مستمر من عدو الخير لهذا تحتاج إلى ملجاً دائم.
قوّة: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (في ٤ : ١٣).

أرسل شاول الملك لمراقبة داود ليقتله، والرب أنقذ داود من يد أعدائه فقال: "إِلَيْكَ التَّجْهُىُ، لَأَنَّ اللَّهَ مُتَجَاهٍ" (مز ۹: ۵۹).

لقد مرت على الكنيسة ظروف صعبة جداً. في كل العصور لكن الله كان ينجيها من جميع الضيقات، أنت يارب تخلص الشعب البائس (ص ۲۲: ۲۸)، وألوب الصديق يقول: والبائس يصرخ أمام الله في ذله (أي ۳۶: ۱۵).

إن الإنسان الذي تحل به ضائقه أو أي نوع من أنواع الكوارث والألم، لابد أن يلجأ إلى الله. والله محب كثير الرحمة. لأن إشعيا النبي يقول: "حَصَنَا لِلْبَائِسِ فِي ضِيقِهِ" (إش ۴: ۲۰).

ويقول مار إسحق السرياني: إن المؤمن لا ينتظر وقت التجربة ليلجأ إلى الله، بل يطلب الله أولاً فيكون ملحاً متى حلت الضيقة عليه. لا نلجاً إلى الله في وقت الضيق فقط. لكن نلجاً إليه ونطبه دائماً باستمرار.

ويقول أيضاً: قبل أن تحل عليك الأمور المحزنة، صل. فهي وقت الضيق وأحرانك تجده هو يسمع لك.

والقديس مار إسحق يقول الإيمان الثابت برج حصين. بالنسبة للمؤمن المسيح هو كل شيء.

نفس مُتبعة. يقول داود النبي: "وَيَتَكَلُّ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسْمَكَ، لَأَنَّكَ لَمْ تَنْتَرُكْ طَالِبِكَ يَارَبُّ" (مز ۹: ۱۰). من هم العارفون اسمك؟ هم الذين يحفظون وصاياه العاملين بها المتخلين على الرب في كل شيء مقدمين إرادته قبل إرادتهم^(۱).

في كرازة القديس بولس الرسول. لا شك أنه اصطدم بأمور صعبة سواء من البشر المُعادين للكلمة. أو من الأرواح الشريرة. لكن الرسول بولس لم يخف لأنه كان يستعين بقوة المسيح الذي أرسله.

عندما صافت الأمور بداود النبي وكثروا الأعداء من حوله. وتكاثرت الحروب معه. لم يستطع أن يلجاً إلى أحد غير الله فقط. إذ يقول: "عَلَيْكَ يَارَبُّ تُوكِلْتُ. لَا تَدْعُنِي أَخْزَى مَذَى الدَّهَرِ. بِعَدْكَ نَجَّى. أَمَلَ إِلَيَّ أَنْتَكَ. سَرِيعًا أَقْدَنْتَنِي. كُنْ لِي صَخْرَةً حَصْنِ، بَيْتَ مَلْجَأً لِتَخْلِيَصِي" (مز ۳۱: ۲۰، ۱: ۳۱).

إننا نجد ملجاناً في الله لأن المكان الخفي الذي إليه نهرب من الخطية بكونها عدو لنا، فتنازل بره. هو صخرة صلبة. بيت الدفاع. قلعة حصينة ومأوى أكيد. بهذا لن تهزنا التجارب ولا نفقد سلامنا الداخلي.

(۱) تفسير المزامير لأنسيموس.

الله يعينك في دخولك وخروجك، والله يعينك على جهادك الروحي. والله يعينك على كل ما تعمله من أجل حياتك الجسدية والروحية.

النوع الثاني:

تقل الخطايا وهذه أصعب الأولى. نطلب من الله ونقول: الخطايا الخفية والظاهرة يارب انزعها عنا، لأن الخطية هي المسيبة لجميع الأتعاب النفسية والجسدية. فإذا كان لديك خطية وأصبحت تقل عليك، ضعها تحت أقدام الرب يسوع المسيح. واعترف وتب، والرب يزيل عنك هذه الخطية. لأن الرب يسوع المسيح هو الذي يعينك على التخلص من خطائك. لقد سكت المرأة الخاطئة على قدمي الرب فارورة طيب وغسلت قدميه بدموعها فقال لها مغفورة لك خطائك.

الله يعينك على أعمالك اليومية. إذ نجد كلمة (معين) يرددها الناس بعضهم لبعض الله يعينك على تعبك.

يقول إشعيا النبي: "هذا هكذا ملجأنا الذي هربنا إليه للمعونة للنجو من ملك أشور، كيف نسلم نحن؟" (إش ٢٠: ٦).

وفي النهاية نقول: "من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض" (مز ٧٣: ٢٥).

لذلك لابد أن نرفع أيدينا وقلوبنا إلى الله بصلوة عميقة. قائلاً: يا معين من ليس له معين. ويا رجاء من ليس له رجاء. ويقول داود النبي: "ليرسل لك عوناً من قدسيه" (مز ٢٠: ٢). "عوناً في الضيقات" (مز ٤٦: ١).

القديس بولس الرسول يتكلم أمام أغريباش الملك وهو يسرد قصة اضطهاده للكنيسة، وكيف أن الله ظهر له، وقد شرع جماعة اليهود في قوله: "فإذ حصلت على معاونة من الله، بقيت إلى هذا اليوم" (أع ٢٦: ٢٦).

حينما نقع في شدة وكارثة نذكر قول إشعيا النبي: "أنا أعينك، يقول الرب" (إش ٤١: ١٤).

يسوع المسيح هو المعين:
يقول رب المجد يسوع: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحالم وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨).

الأثقال التي نحملها نوعان:

النوع الأول:
الأثقال التي تعني التجارب والألم والضيق، المرض ضنك الحياة والمعيشة وهموم الحياة.

العناية الإلهية

عناية الله تسير معنا بكل حكمة ودقة ولها أساليب عالية، وطرق عميقة ومهمما على إلى فوق، فإن النتيجة المحتملة إنها كلها تؤول لمجد الله ولخير أولاده، وفي الواقع إن الآلام والضيقات في يد العناية الإلهية، ما هي إلا بركات مستترة وعلامات محبة تأتي إلينا في الهزيم الأخير من الليل، وكم نحن مدینون لعناية الله بما نفعله لنا في الظروف المؤلمة التي تمر علينا، وهي أيضاً أدوية وعلاجات.

ما أكثر البركات والمراحم التي لم ترها ولم تشعر بها، ولعلها تزيد أضعافاً أضعافاً ما تعرفه منها. هذا ومانراه متجلياً في قول الوحي الإلهي قديماً "إني قد رأيت مذلة شعبي... إني علمتُ أوجاعهم" (خر ٣: ٧)، ويقول إشعيا النبي: "هكذا يقول ربُّكَ يا يعقوب وجبارتك يا إسرائيل: لا تخَفْ لآتَي فَدِيتكَ... إذا اجترَت في الماء فأنَا معكَ، وفي الأنهار فلا تغُرُّكَ. إذا مشيت في النار فلا تذَعْ، واللهِ يُهِبُّكَ لا يُحرِّقُكَ" (إش ٤٣: ٢٠، ١).

ويقول داود النبي: "فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ فِي ضَرِّهِمْ، فَخَلَصَهُمْ مِنْ شَدائدِهِمْ" (مز ١٠٧: ١٩).

والسيد المسيح له المجد يضرب لنا مثلاً رائعاً عن عنايته بنا يقول: "اليس عصفوران يُباعان بفلسٍ؟ وواحدٌ منهم لا يسقطُ على الأرض بدون أبيكم" (مت ٢٩: ١٠). أو "واحدٌ منها ليس منسيّاً" كما ذكر القديس لوقا البشير (لو ١٢: ٦). "أنتُم أفضَلُ مِنْ

يقول أحد اللاهوتيين أن الكلمة السريانية (عنابة) تعنى (افتتاح الأفغان) وحقاً الله لا يغفل ولا ينام، بل هو دائم العمل والسرور، وعناية الله مليئة بالحب الفياض، والنعم المتداقة، والتدبیر الصالح.

ولقد تجلت عنابة الله في البشرية منذ بدء الخليقة. سقط آدم وحواء، وطrodوا من الفردوس، اعتى بهم الله، ووعدهم بأن نسل المرأة (المقصود به السيد المسيح) يسحق رأس الحية (المقصود به الشيطان).

واعتى الله بإبراهيم أب الآباء أمام فرعون ملك مصر، كما اعتى به في كل مراحل حياته، إذ قال له رب "لا تخَفْ يا ابراهيم. أنا تُرس لك. أجرُكَ كثيرٌ جداً" (تك ١٤: ١٥).

واعتى الله بلوط عندما أخرجه الملائكة من سدوم وعمورة. كما اعتى بيوسف الصديق وهو في السجن، الله اعتى بالبشرية بعد السقوط.

ولما جاء ملء الزمان جاء رب متجسداً من الروح القدس والقديسة العذراء مريم وصلب وقبر وقام وصارت البشرية في عهد جديد. إذ يقول معلمنا بولس الرسول "الذي لم يشُفِّق على ابنه، بل بذلة لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟". (رو ٣٢: ٨)

وهنا نود أن نذكر حادثة واحدة من الكتاب المقدس وهي من العهد القديم، وهذه الحادثة تعطي لنا تعزية روحية وكيف تدخلت عنابة الله في قصة حرقيا الملك وسنهاريب (٢ مل ١٩):

تملك الشيطان في شخص سنهاريب ملك أشور، وأرسل رسلاً لكي يهدد حرقيا بن آحاز ملك يهوذا، قال سنهاريب إلى رسليه هكذا تكلمون حرقيا ملك يهوذا قائلاً: لا يخدعنك إلهك الذي أنت متوكلاً عليه. أنت قد سمعت ما فعله ملوك أشور بجميع الأرض لإهلاكها هل تتوجه أنت؟

هل أنقذت آلهة الأمم، هؤلاء الذين أهلكهم آبائي؟

هذا هو التهديد الذي أرسليه سنهاريب مع رسليه إلى حرقيا ملك يهوذا، وهنا نلاحظ عدة نقاط:

أولاً: استهان بإله حرقيا "لا يخدعك إلهك" (٢ مل ١٩: ١٠).
 ثانياً: يريد تشكيك حرقيا في الاتكال على الله "المتكل عليه".
 ثالثاً: يريد أن يشعره بالرعب "قد سمعت ما فعل ملوك أشور بجميع الأرض لإهلاكها" (٢ مل ١٩: ١١).

رابعاً: ذكر له بعض من ملوك الأرض التي انتصر عليها. وألقى بها في الهلاك مثل: "أين ملك حماة وملك أرفاد وملك مدينة سفروaim وهينون وعوا؟" (٢ مل ١٩: ١٣).

لقد وضع سنهاريب أمام حرقيا الملك طرق كثيرة وكان يظن أن بتهدياته سوف ينتصر عليه. لكن نجد عنابة الله تدخلت فماذا فعل حرقيا الملك؟ أخذ الرسائل من أيدي الرسل وقرأها

عصفير كثيرة! " (مت ١٦: ٣١)، إذا كان الله يعتني بالعصافير أفلأ يعتني بأولاده.

شكراً لله الذي يعتني بنا حتى إلى المحاكم يقول السيد المسيح له المجد " أنا أعطكم فما وحكمه لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يتافقوا معها. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو ١٨: ٢١، ١٥).

إن عنابة الله لنا تشمل كل حياتنا. لا يمضي وقت أو تمر ساعة من حياتنا إلا ولنمس عنابة الله.

فإن كان لنا إيمان بأن لنا أباً يهتم بنا، ويقودنا إلى أسمى الأمور، وأفضلها، وأنفعها، فلا يبقى مكان بعد للهم، والغم في نفوسنا.

شخصيات تدخلت معهم عنابة الله:

لقد ذكر الكتاب المقدس العديد، والعديد من الشخصيات التي تدخلت معهم عنابة الله. سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد. كما يذكر لنا تاريخ الكنيسة أيضاً عن شخصيات لاقت في حياتها أمور شاقة ومؤلمة، بل مؤلمة جداً. والله تدخل في حياتهم وفي ضيقاتهم ومشاكلهم، وهذا ينطبق عليهم قول داود النبي "الفح انكسر، ونحن نجونا" (مز ٤٠: ١٢٣).

وحل مشاكلك إلى غير ذلك. وإذا فشل الشيطان في أن يجعلك تشك في وسائل النعمة يُشعرك بالرعب، ويفتح لك طرق كثيرة لكي تجري فيها. إلا خسرت نفسك. أنت لا تملك شيئاً، وبجوارك إنسان يملك كل شيء بطرق غير شرعية، ويضع في داخلك أفكار، وأفكار حتى يسيطر على داخلك وبهذا تكون حياتك قد ضاعت.

ولنتأمل في قصة سنحاريب مع حزقيا الملك كيف أن سنحاريب هدد حزقيا وكيف أن حزقيا الملك أخذ هذا التهديد وصعد إلى بيت الرب ووضعه أمام الرب. لا يوجد أي حل، ولا توجد أي وسيلة في العالم كله تستطيع أن تخلصنا من خطايانا أو مشاكلنا أو أعدائنا سوى أننا نذهب إلى بيت الرب. أي إلى الكنيسة وهناك نضع أمام الله كل طلباتنا واحتياجاتنا، ونطلب من القلب. ويسوع المسيح يقول: كل ما تطلبوه باسمي يستجاب لكم. اطلبوا تجدوا ... إن وضع المشاكل في بيت ربنا وعلى المذبح أنها أجمل طريقة روحية وقد تحلت هذه الظاهرة الروحية في حياة البابا كيرلس السادس.

نضع كل شيء على المذبح أثناء القدس الإلهي. الله يرفع عنا ضيقاتنا ويعطينا تعزية روحية.

عندما نقع في مشكلة، نذهب إلى بيت الرب. عندما تكون في ضيقـة، نذهب إلى الكنيسة وصلّى بإيمان قوي. فدادود النبي يقول:

وصعد إلى بيت الرب ونشرها أمام الرب. وصلى حزقيا أمام الرب. وقال: "أيها الرب إله إسرائيل، الجالس فوق الكاروبين، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماء والأرض. أهل يارب أذنك واسمع. افتح يارب عينيك وانظر، واسمع كلام سنحاريب الذي أرسله ليغدر الله الحي ... والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده، فتعلّم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب الإله وحدك" (٢١ مل ١٥ - ١٩).

فماذا كان عمل الله وعناته مع حزقيا الملك؟
وكان في تلك الليلة أن ملك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألفٍ وخمسة وثمانين ألفاً. ولمَّا بَكَرُوا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة. فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى. وفيما هو ساجد في بيت نسروخ إلهه، ضربه أدرملك وشراصر ابناه بالسيف ... (٢٧ مل ١٩ : ٣٥)

هذه هي الضربات التي وقعت على سنحاريب وعلى جيشه الذي افتخر به وهدد به حزقيا الملك ملك يهودا. كثيراً ما يحدث معنا مثل هذا، سواء من الشيطان أو من الأعداء البشريين. وأن سنحاريب يمثل الشيطان في أفعاله. ولأن الشيطان يشك الإنسان في حياته الروحية. عندما تقف للصلوة يوشوس لك الشيطان بأفكار غريبة. مثل الله تخلى عنك ولا داعي للصلوة. الله تباطأ في تنفيذ رغباتك

الاتكال على رب خير من الاتكال على البشر.

قُلْ مَعْ حَزْقِيَا: " يَارَبِّ خَلْصَنَا " يَارَبِّ انْظُرْ واطلِعْ إِلَى مَا فِي الرَّسَائِلِ مِنْ تَهْدِيدَاتٍ، تَصْرَفْ أَنْتَ يَارَبِّ لِأَنِّي إِنْسَانٌ ضَعِيفٌ، وَأَنَا مُتَكَلٌ عَلَيْكَ، وَخَلْصْنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ كَمَا خَلَصْتَ حَزْقِيَا الْمَلَكَ مِنْ يَدِ سَنَحَارِيبَ.

عندما تدخل عنابة الله في حياتنا يطيب قلوبنا، ويعطينا قوة.
يقول الوحي الإلهي قدِيمًا: تشدوا، وشجعوا لا تخافوا ولا ترتابوا. لأن الذي معنا أكثر من الذي علينا. رب إلينا يحارب عنا. ويقول داود النبي: " لِتَشَدَّدْ وَلِتَشَجَّعْ قُلُوبُكُمْ، يَا جَمِيعَ الْمُنْتَظِرِينَ الرَّبَّ ". (مز ٢١ : ٢٤)

لِإِلَهِنَا كُلُّ مَجْدٍ وَكَرَامَةٍ

مِنَ الْآنِ وَإِلَى الأَبَدِ.

آمِينَ.